الدكتور جعفر هادي حسن

فرقة القرائين اليهود

دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتاريخها الى العصر الحاضر

مؤسسة الفجر
بيروت - لندن

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

دراسات في العقائد والأديان

(٢)

فرقة القرائين اليهود

دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتاريخها الى العصر الحاضر

حقوق الطبع و النشر محفوظة
للمؤلف

الطبعة الاولى
١٩٨٩

فرقة القرائين اليهود

دراسة في نشأة الفرقة وعقائدها وتاريخها الى العصر الحاضر

بقلم

الدكتور جعفر هادي حسن

مؤسسة الفجر

بيروت - لندن

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

لا يعرف الكثير من الناس ان اليهود افترقوا على فرق كثيرة متعددة كما افترق المسلمون والمسيحيون. ولقد كان انشقاق بعض هذه الفرق مبكراً في تاريخ اليهودية، وكان منها ما اندثر واختفى ولم يبق منها إلا أخبارها يتلوها علينا التاريخ ويحدثنا عنها. ومنها ما استمر في البقاء الى العصر الحاضر. وفرقة القرائين هي واحدة من هذه الفرق التي ظلت باقية الى يومنا هذا بعد أن مر على ظهورها اكثر من الف ومائتي سنة. ويعتبر انشقاق فرقة القرائين عن اليهودية وانفصالها عنها في القرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي حدثاً من الاحداث الكبرى في تاريخ اليهودية. وكان من الممكن أن تصبح هذه الفرقة من أكبر الفرق اليهودية على الاطلاق لولا أسباب معيّنة – سنذكرها في ثنايا هذا البحث – حالت دون ذلك وجعلت اتباعها على ما هم عليه من القلة هذا اليوم.

وقد خلّفت هذه الفرقة تراثاً قد يكون من أضخم ما خلفته أية فرقة يهودية أخرى كمّاً ونوعاً، وهو تراث حريٌ بالقارئ العربي أن يعرفه ويطلع عليه، ليرى جانباً آخر من جوانب اليهودية التي يقول القرائون انهم أحق من يمثلها وأصدق من يتبع احكامها.

والاسم القرائون هو الجمع العربي المقابل للعبري "قرائيم" والذي يعني الذين يقرأون "المقرا" [١] (التوراة) ويدرسونها بكثرة ويعتمدون

---

[١] الجذر العبري "قرا" يعني كذلك "دعا" لذلك يرى البعض ان قرائيم قد تعني الذين يدعون الى (فرقتهم)

عليها ويأخذون شرعهم منها.

واعتماد القرائين على التوراة وحدها كان بسبب رفضهم للمصدر الرئيسي الآخر لدى اليهودية وهو "التلمود"، الذي يعتبر لدى عامة اليهود جزءاً مهماً ومكملاً للتوراة، ولذلك أطلق عليه اسم "الشريعة الشفوية" مقابل "الشريعة المكتوبة" (التوراة). وكان رفض القرائين للتلمود رأس المسائل التي سببت الانشقاق وبداته بينهم وبين عامة اليهود والذي ازداد عمقه وتشعبت مسائله بمرور الأيام.

ومنذ الحقبة الأولى لانفصال الفرقة واستقلالها عن اليهودية أصدرت هذه الأخيرة قرارات بطردها من اليهودية واعتبرتها فرقة خارجة عنها منشقة عليها. وما زالت هذه القرارات نافذة المفعول مستمرة التطبيق الى يوم الناس هذا. وتعيش الغالبية العظمى من القرائين اليوم في فلسطين قرب الرملة وتل أبيب. ويقدر عددهم بعشرة الاف شخص لهم أماكن سكناهم المعزولة عن بقية اليهود الآخرين ولهم عدد من رجال الدين منهم يسمون "حزّانيم" [١]، يديرون شؤون حياتهم الدينية ويقيمون عليها. ولهم كذلك أماكن لذبح الحيوانات خاصة بهم ولهم ايضاً محاكمهم واماكن عبادة. ولكن قانون الحكومة اليهودية هناك يمنعهم من الزواج من اليهود الآخرين. ومن القرائين مجموعات صغيرة تسكن اليوم بولندا والاتحاد السوفياتي.

ولما كان موضوع هذه الفرقة موضوعاً قلما تطرق له الكتاب العرب والباحثون منهم فقد حاولت -ما وسعتني القدرة وسمح لي الوقت - أن ألم باطراف الموضوع وأجمع من شتاته وأتتبع مصادره، من اجل ان يكوّن القارىء فكرة عن هذه الفرقة وتاريخها ومعتقداتها وما يتصل بها.

---

[١] حزّانيم هو الجمع العبري للكلمة «حزّان» التي تعني اصلاً من يقود فرقة في التراتيل الدينية.

وكتابنا هذا هو تالٍ لكتابنا الأول في موضوع الفرق اليهودية وأعني به "فرقة الدونمة بين اليهودية والاسلام". وسيرى القارىء الذي اطلع على كتابنا الأول باننا تنكّبنا هنا الطريق التي اتبعناها هناك وذلك لاختلاف أسباب انشقاق هذه الفرقة عن تلك وما كان لذلك من تأثير على منحى تاريخها وطبيعة تراثها.

وعلى الرغم مما بذلت في هذا الكتاب من جهد وصرفت فيه من وقت فإني لاأدعي له كمالاً ولم أتغيَّ منه ذلك، ولكني أرجو له أنْ يكون مساهمة متواضعة في حقل الدراسات اليهودية يتزود منها من يريد الاستزادة من موضوعاتها، ويستعين بها من يرغب التعمق في مسائلها والله الموفق وهو الهادي الى سبيل الرشاد.

المؤلف
جامعة مانشستر
قسم دراسات الشرق الاوسط
في تموز ١٩٨٩م
ذي الحجة ١٤٠٩هـ

http://al-maktabeh.com

توطئة

كان ظهور الإسلام قد هيأ ظروفاً جديدة شملت المناطق التي كان يسكنها اليهود. وقد شجعتهم هذه الظروف على رفع أصواتهم في نقد المؤسسة اليهودية وممثليها فيما كانوا قبل ذلك يحجمون عن الإقدام على التجاهر بالنقد والإعلان به. وما أن مرّ قرن وبعض قرن على ظهور الاسلام حتى رأينا اشخاصاً من اليهود -يظهرون بين فترة واخرى- يعلنون معارضتهم ويجهرون بنقدهم لما كانوا يعتقدونه انحرافاً عن اليهودية الصحيحة وتجاوزاً عليها وإن كانت هذه المعارضة تقوم أساساً على الادعاء بخلاص اليهود.

وكان عندما يبدأ احدهم بدعوته المعارضة لليهودية الرسمية نرى مجموعات من اليهود تنضم اليه وتلتفّ من حوله وتؤيد ثورته.

فكان من هؤلاء يهودي من سوريا اسمه سرينوس «١» الذي ظهر في الربع الأول من القرن الثامن الميلادي وادعى بانه المخلص لليهود وكان مما نادى به رفضه للتلمود واعتبر هذا الرفض أحد شروط خلاص اليهود. وكذلك رفض اليهود التلموديين «٢» واعتبرهم غير ممثلين

«١» كان سرينوس قد هاجر مع مجموعة من اليهود من بيزنطة الى بلاد الشام ايام الخليفة عمر بن عبد العزيز «رض» هرباً من ظلم الامبراطور الروماني يوستنسانوس الثاني وطلباً للامن في بلاد الاسلام . انظر
S. Dubnov, History of the Jews vol.,3,p.336

«٢» سنستعمل في هذا الكتاب مصطلح «التلموديين» إشارة الى عامة اليهود وممثليهم لاعتمادهم على التلمود وتمسكهم به. وسيكون هذا الاستعمال مقابل الفرق اليهودية الاخرى.

لليهودية. وقد دعا الى تغيير بعض أحكام الفقه اليهودي واعتبرها غير صحيحة مثل بعض أحكام الصلوات والطعام والزواج وغيرها. وقد تبع سرينوس جمع كبير من اليهود واستمرت دعوته لعدة سنوات وتجاوزت شهرتها حدود الشام.[١] وحتى مع اختفائه عام ٧٢٤م بقي اتباعه موجودين الى القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي على الرغم من نداء زعماء اليهود لهم بالتوبه والرجوع الى اليهودية الرسمية.[٢].

ومن الحركات التي انفصلت عن اليهودية وثارت عليها تلك التي قادها أبو عيسى اسحق بن يعقوب الاصفهاني ايام مروان الحمار آخر من حكم من بني أمية في الشام. وقد بدأ ابو عيسى حركته بادعائه النبوة ونادى بآراء تخالف آراء التلموديين فيما يتعلق باحكام الفقه اليهودي. وكان بعض هذه الآراء متفقاً مع آراء القرائين. وقد اعترف أبو عيسى برسالة النبي عيسى[٣] ورسالة النبي محمد ﷺ. وقال بأن كل واحد منهما قد بعث الى قومه وأمر اتباعه بقراءة الإنجيل والقرآن ومعرفة تفسيرهما. وقال بأن المسلمين والنصارى قد تعبدوا بما في ايديهما[٣]. وقد استمر بقاء العيسوية -كما سميت فيما بعد بهذا الاسم- الى قرون لاحقة. فقد تحدث القرقساني (من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي) عن مجموعة من العيسوية

«١» فقد ذكرها المؤرخ الاسباني اسيدوروس باسينز الذي كان معاصراً لحركة سرينوس، وذكرها كذلك المؤرخ السوري بارهبريوس وايضاً المؤرخ ثيوفانوس.

«٢» للمزيد من الاطلاع على هذا الموضوع راجع كتابنا «فرقة الدونمة بين اليهودية والاسلام» ط٣ ص ٢٠-٢١.

«٣» القرقساني، الانوار و المراقب ٥٢/١.

معاصرة له تسكن دمشق «١». وتحدث الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) في كتابه «التمهيد» عنهم في عدة مواضع وناقش افكارهم. وقد عنون أحد فصول كتابه بـ «باب الكلام على العيسوية منهم الذين يزعمون أن محمداً و عيسى إنما بعثا الى قومهما ولم يبعثا بنسخ شريعة موسى» «٢». وهو يتحدث عن العيسوية حديث معاصر لها عارف بمعتقداتها وقد وصفها مرة بانها أمة عظيمة (إشارة الى عدد افرادها).

وبعد وفاة ابي عيسى نادى تلميذه يودغان من مدينة همدان بالثورة على التلموديين، ودعا كما دعا استاذه من قبل الى رفض التلمود والتلموديين وكانت له آراء تخالف عامة اليهود فيما يتعلق بالسبت والاعياد والأنبذة واللحوم «٣». وكان في بعض آرائه على ما يبدو متأثراً بالفكر المعتزلي فكان يقول بحرية الإرادة للانسان وكان يرفض صفات التشبيه للخالق الواردة في التوراة و اثبت الفعل حقيقة للعبد وقدر الثواب والعقاب عليه وشدد في ذلك «٤».

«١» الانوار والمراقب ٢١/١

«٢» ص ١٨١

«٣» دائرة المعارف اليهودية مادة Yudaghan

«٤» الشهرستاني، الملل والنحل ٥٦/٢ وانظر

S. Dubnov, History of The Jews, vol. 3, p.335

وكان من تلاميذ يودغان رجل اسمه «موشكا» من ايران ايضاً، وكان ما نادى به لا يخرج اساساً عما يقوله استاذه وقد سمي اتباعه بالموشكانية. وكان هؤلاء قد اثبتوا نبوة محمد ﷺ للعرب وبعضهم اثبتها للعرب وسائر الناس عدا اليهود وقالوا لأن اليهود عندهم كتاب. وكان موشكا قد أوجب الجهاد ضد مخالفيه فخرج هو وتسعة عشر رجلاً من اتباعه على بعض هؤلاء فقتل وقتل معه اتباعه.[١] وقد ذكر يافث بن علي القرائي (من القرن العاشر الميلادي) فرقة معاصرة ليودغان اسماها الشادغانية ولكنني لم اعثر على ذكر لها في كتب الفرق و العقائد.[٢]

هذه هي الفرق اليهودية أو بعضها التي ظهرت بعد مجيء الاسلام وقبل ظهور فرقة القرائين. وقد نسبت الى اصحاب هذه الفرق كأبي عيسى الاصفهاني كتب و مؤلفات ولكن شيئاً منها لم يصل الينا.

«١» الشهرستاني، الملل والنحل ٢/٥٦و دائرة المعارف اليهودية مادة Persia ,

«٢» دائرة المعارف اليهودية مادة: Yudaghan

الفصل الاول

عنان بن داود مؤسس فرقة القرائين ومن جاء بعده

http://al-maktabeh.com

عنان بن داود مؤسس فرقة القرائين ومن جاء بعده

لا نعرف على وجه الدقة متى ولد عنان ومتى كانت وفاته ولكن الذي نعرفه أنه ولد وعاش في القرن الثامن الميلادي وأن ظهوره كزعيم لفرقة القرائين كان أيام ابي جعفر المنصور العباسي(ت ١٥٨هـ - ٧٧٥ م) في بغداد عاصمة الدولة العباسية. [١] وقد ذكر بعض المؤرخين اليهود مثل ابراهام بن داود (من القرن الثاني عشر الميلادي) عن عنان بأنه ينحدر من نسل داود النبي. [٢] وذكر ذلك كذلك بعض المؤرخين من المسلمين مثل البيروني الذي ذكر لعنان شجرة نسب متصلة بالنبي داود ﷺ. [٣]

وقد اشتهر من عائلة عنان أخوه حنانيا وعمه سلومون بن حسداي إذ اصبح كل منهما رئيساً للطائفة اليهودية. [٤] وقد بدأ عنان دراسته لليهودية منذ الصغر ودرس على ايدي علماء لهم شهرتهم بين اليهود

«١» القرقساني، الانوار والمراقب ١٣/١

«٢» سفرها قبلاه (القسم العبري) ص ٣٧

«٣» الآثار الباقية من القرون الخالية ص ٥٩

«٤» M.Waxmann, A History of Jewish Literature, vol. 1, p.494

مثل الجاءون [١] يهوداي (ت ٧٦١ م) الذي كان رئيساً لمدرسة سورا [٢] اليهودية. وقد وصل عنان الى مرتبة علمية متقدمة أقر له بها علماء اليهود التلموديون واعترفورا به عالماً مميّزاً. [٣]

وما أن وصل الى هذه المرتبة العلمية حتى بدأ ينتقد المؤسسة اليهودية والحاخامين ويعترض على الكثير من أفكارها بعد ان اعتقد انها تخالف اليهودية الحقه. وقد كان عنان مرشحاً لرئاسة الطائفة اليهودية لتوفر الشروط والصفات فيه الا أن النقد الذي كان يوجهه حرمه من ذلك ورُشّح بدله أخوه حنانيا.

وكان من المسائل التي رفضها مسألة التقويم وتحديد رأس الشهر لدى اليهود. فقد كان اليهود في عصره وما زالوا يعتمدون الحسابات الفلكية في تعيين اليوم الأول من الشهر. أما عنان فقد انتقد هذا النظام وطالب اليهود بالرجوع الى ما كانت تأخذ به اليهودية القديمة من تحديد رأس الشهر عن طريق رؤية الهلال. [٤]

---

[١] تعني كلمة «جاءون» -التي تنطق جيمها جيماً مصرية -في العبرية "سمو" أو "رفعة" وما يشبة ذلك وقد استعملت هذه الكلمة لقباً لكل من اصبح رئيساً لمدرسة سورا أو فومبيدتا اليهوديتين. واطلق هذا اللقب بعدئذ على كل رؤساء مدارس اليهود في بغداد والقاهرة ودمشق ثم أصبح يطلق على كل من اصبح متبحراً في العلم واسع المعرفة في الديانة اليهودية.

[٢] سورا اسم اطلقه اليهود على مدينة قرب بابل في العراق وكانت فيها واحدة من مدرستين يهوديتين اشتهرتا بين اليهود واستمرتا حتى القرن الحادي عشر الميلادي. وكانت المدرسة الثانية في مدينة فومبيدتا. وهو الاسم الذي اطلقه اليهود على ما يسمى الآن الانبار في العراق.

[٣] ابراهام بن داود ، سفرها قبلاه (القسم العبري) ص ٣٧-٣٨

[٤] L. Nemoy, Karaite Anthology, p.5

وكان من المسائل المهمة التي خالف بها عنان التلموديين مسألة التلمود. فقد كان يرفض التلمود ويقول ما هو إلا بدعة ابتدعها الحاخامون ولفقوها وقالوا للناس إنها شريعة شفوية مصدرها الاله وأنها يجب أن تقدس. بينما هو كتاب ليس له من القدسية شيء لا من قريب ولا من بعيد وما فيه إنما هو آراء جاء بها أحبار اليهود وحاخاموهم. وبرفض التلمود رفض عنان إحدى الدعامتين الرئيستين التي تقوم عليها اليهودية.

ليس هذا حسب بل كان عنان يرفض سيطرة الحاخامين وكان يعتبرهم أناساً اصحاب سلوك منحرف وأنهم ليسوا جديرين بما أضفوا على انفسهم من صفات وما اعطوها من منزلة.

وانضم الى عنان مجموعة من اليهود ممن اقتنع بآرائه وتأثر بها وأعلن عنان انشقاقه عن اليهودية الرسمية على رؤوس الاشهاد دون خوف إو وجل و اعتبرته المجموعة التي التفت حوله رئيساً وزعيماً لها.

ولم يكن خروج عنان وانشقاقه عن اليهودية الرسمية ونقده لها بمسألة يحتملها الحاخامون ويسكتون عليها ولذلك أصدروا قراراً بطرده من اليهوديه وحرمانه منها. ولكن هذا لم يكن له أثر على عنان ولم يقلل من نقده واستمر في الدعوة إلى أفكاره والترويج لها بين اليهود. فالتجأت المؤسسة اليهودية الى الحكومة تشكوه لها بتهمة المروق عن الدين وعدم الاعتراف باليهودية الرسمية.

وقبض على عنان وأودع السجن ولا نعلم الفترة التي قضاها في

السجن قبل أن يعفى عنه. وتقول الروايات عن قضية العفو هذا بأنه التقى في السجن بعالم مسلم «١» كان سجيناً معه. وقد اقترح هذا العالم على عنان أن يلتقي أبا جعفر المنصور ويشرح له رأيه ومعتقده في اليهودية، ويبين له بأنه لم يخرج عن اليهودية ولم ينكرها أو يرتد عنها وإنما هو صاحب مذهب فيها. واقتنع عنان بهذا -كما تقول الروايات- ورُتّب له لقاء مع أبي جعفر المنصور وبعد هذا اللقاء أخرج من السجن وأصبح طليقاً. «٢» وتذكر مصادر القرائين أن التلموديين إئتمروا به واحتالوا لاغتياله ولكنهم لم يتمكنوا منه. «٣»

وقد كتب عنان كتاباً واحداً أسماه "كتاب الفرائض" وهو باللغة الآرامية التي لم تكن قد اختفت تماماً في تلك الفترة. ولا ندري لماذا لم يكتب عنان كتابه باللغة العربية أو اللغة العبرية التي يعرفهما في ذلك العصر كثير من اليهود.

ومن المحتمل انه أراد لكتابه أن يكون مثل التلمود - الذي كتب ايضاً باللغة الآرامية -كتاباً مدرسياً لأصحابه يقبلون عليه ويدرسونه عند من يعرف الارامية من علمائهم. و"كتاب الفرائض" كتاب مختصر في أحكام الفقه اليهودي ويتضح من النصوص التي وصلتنا، أن

«١» ذكرت بعض مصادر القرائين القديمة بأن هذا العالم كان الامام ابا حنيفة النعمان بن ثابت (ت ١٥٠هـ - ٧٦٧م). وكان ابو جعفر المنصور قد سجنه بسبب رفضه تولي القضاء ويعتقد بأنه توفي في السجن.

«٢» L. Nemoy, Karaite Anthology,PP.4-5

«٣» القرقساني ، الانوار والمراقب ١٣/١

http://al-maktabeh.com

مؤلفه لم يعتمد على رأي اي حاخام او عالم يهودي من التلموديين وانما جعل التوراة مصدر أحكامه الفقهية وفتاواه الى جانب القياس الذي وسع مداه وتطبيقاته، والإجتهاد الذي حث عليه أصحابه وطلب منهم الاخذ به. وقد عزي له القول المعروف "ابحثوا في التوراة باجتهاد ولاتعتمدوا على رأيي" وسنتحدث عن ذلك فيما بعد. وقد اصبح "كتاب الفرائض" موضوع دراسة وشروح وتعليقات ليس من قبل اتباعه حسب بل من قبل كل الجماعات التي عارضت التلموديين كذلك.

وبرفض التلمود من قبل عنان واتباعه أصبح اعتمادهم الرئيسي على كتاب العهد القديم كله وليس على التوراة [١] (الكتب الخمسة الاولى) فقط.

ولم يعرف عن عنان بأنه أضفى على نفسه صفة القدسية ولم يعرف عن أتباعه أنهم اعتقدوانلك. ولكن هؤلاء اعتبروه اماماً وقدوة لهم وفي نفس الوقت رأوا فيه بشراً يصيب ويخطيء. وقد قال عنه احد علمائهم الكبار "ولعمري إن رأس الجالوت [٢] عنان رضي الله عنه امام وقدوة ومقدّم في الدين والعلم غير أنه لم يكن نبياً بل كان رجلاً نظاراً بحاثاً إلا أنه لايعرى من الغلط أو السهو [٣]".

وقد أسبغ عليه اتباعه وعلى اولاده واحفاده لقب "أمير" وسمي أيضاً روش ها مسكيلين" (امام المرشدين). وخصصوا له دعاء يتلونه

---

[١] تطلق التوراة بالمعنى الخاص على الكتب الخمسة الاولى وتطلق بالمعنى العام على العهد القديم كله.

[٢] يقصد بالجالوت "يهود الشتات"

[٣] القرقساني، الانوار والمراقب ٣/٦٢٢-٦٢٣

عليه الى يومنا هذا. وهو هكذا " اللهم ارحم الأمير عنان بن داود الوليّ الذي ابان طريق التوراة وأنار قلوب القرائين وهداهم وأرشدهم الى طريق الحق. اللهم انزله منزلاً طيباً ومسرّاً في الدرجات السبع للصالحين الذين مأواهم الجنة. »١«

ونسب إلى عنان بانه اعترف برسالة النبي عيسى «ع» واعترف كذلك برسالة الرسول محمد «ص» الى العرب وليس الى اليهود. »٢«

وتوفي عنان في نهاية القرن الثامن الميلادي وقيل بأن وفاته كانت في فلسطين.»٣«

وبعد وفاة عنان عرف اتباعه باسم "العنانية" وأصبحت فرقة متميزة معروفة. ولكن الى جانبها ظهرت مجموعات يهودية صغيرة ما كان لها ان تعرف ايام عنان ودعوته. فقد اخفت هذه الدعوة الاصوات اليهودية المنشقة الاخرى وجعلتها تنضم اليها وتستظل بظلها. وكان لكل مجموعة من هذه إمام تأتم به وتركن اليه وقد عرف هؤلاء بآراء تفردوا بها وهذه المجموعات وان لم تستمر في الوجود طويلاً إلا اننا رأينا من المناسب ذكرها لتأثير ظهور عنان عليها اولاً وارتباط هذه المجموعات بتاريخ الفرق اليهودية ثانياً.

فكان ممن تزعم مجموعة من هذه شخص اسمه إسماعيل العكبري (من قرية عكبرا قرب بغداد) وقد سمي اتباعه بالعكبريين. وكان العكبري شديد النقد لعنان قاسياً فيه عليه. ومن آرائه التي عرف بها انه كان يقول ان التوراة فيها أخطاء وحذف وفيها تغيير وفيها زيادة

»١« S. Dubnov, History of The Jews, vol 3,p.363

»٢« دائرة المعارف اليهودية مادة: Anan Ben David

»٣« S. Dubnov, History of The Jews, vol,3,p.365

ونقصان ويجب ان تصحح. وتصحيحها إما ان يكون بالرجوع الى حكم العقل او بالرجوع الى نسخة التوراة السامرية او بمقارنتها مع الترجمة اليونانية السبعينية والتي هي ايضاً تختلف عن التوراة التي بأيدي اليهود. «١»

ومن آرائه كذلك انه كان يقول ان العبارة في سفر الخروج ١٨/٢٠ " وكان كل الشعوب يرون الرعود " يجب ان تكون " وكان كل الشعوب يسمعون الرعود " لان الرعود تسمع ولا ترى. وكذلك ابطل قاعدة " كتيب وقرى "فيما يخص التوراة «٢» والتي يأخذ بها اليهود بصورة عامة. وقال بأن التوراة يجب ان تقرأ كما هي مكتوبة. ومن آرائه كذلك جوازه ان يأكل اليهودي ما يعمله غير اليهودي. وكان يجيز لليهودي ان يعمل سبعة ايام (اي حتى في السبت) على ان

«١» المصدر نفسه S.Dubnov, Vol.3, p.367

لقد تميزت هذه الفترة من تاريخ اليهودية بآراء جريئة حول التوراة. ومن هذه الآراء رأي حيوي البلخي اليهودي (النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي) الذي انتقد التوراة في مئتي موضع. وقد رفض كذلك مقولة اليهود التلموديين ان الاله يسكن المعبد اليهودي. وكذلك رفض ان يكون اليهود شعب الله المختار. وقال "كيف يفرق الاله بين الناس ويجعل بعضهم اقرياء له وبعضهم غرباء عنه ولماذا يكون اليهود هم المفضلون لديه "انظر المصدر السابق S.Dubnov, vol,3,P.417

وكثير من اليهود في العصر الحديث -خاصة الروس منهم - الذين ينتقدون اليهود التلموديين يلجأون الى افكار حيوي البلخي بهذا الخصوص. انظر دائرة المعارف اليهودية مادة : Hiwi Al-Balkhi

«٢» "كتيب معناه المكتوب و " قرى" معناها المقروء. وهذه القاعدة تنطبق على كثير من كلمات التوراة التي تكتب بشكل وتقرأ على شكل آخر.

يجعل ما يحصل عليه في اليوم السابع صدقه. وهذا قياس على السنة السابعة التي وردت أحكامها في التوراة. وقد عزيت للعكبري بعض الكتب ولكن لم يصلنا منها شيء.»[١]

وكان من هؤلاء الذين برزوا بعد وفاة عنان شخص اسمه ميشويه العكبري وكان معاصراً لإسماعيل. وقد نسبت له كذلك بعض الآراء الخاصة به منها انه كان يقول إن الصلاة يجب ان تكون باتجاه الغرب وإن من كان بمصر والمغرب يستدبر بيت المقدس اذا صلى. وقال ايضاً بأن السبت لا يجوز ان يقرب فيه قربان. ومن ارائه المخالفة لليهود اعتماده التقويم الشمسي وأن الشهر عنده ثلاثون يوماً[٢]. وقال إن عيد الاسابيع يجب ان يكون في يوم الاحد وأن عيد الفصح يجب ان يكون في الخميس دائماً، وذلك من اجل أن يكون الغفران (يوم الكبور) في يوم السبت لأن التوراة اشارت الى يوم الكبور على أنه «سبت السبوت».[٣]

ومن ارائه فيما يتعلق بالتقويم رأيه بأن اليوم الشرعي لايبدأ من مغرب الشمس وانما يبدأ في الصباح وينتهي في صباح اليوم الثاني حتى يوم السبت يعتبره كذلك.

وقد اتهم ميشويه من قبل اتباع عنان بأنه صاحب بدعة واعتبر عندهم خارجياً وهاجموه هجوماً عنيفاً. وقد بقي اتباع ميشويه الى القرن الثاني عشر الميلادي او بعده بقليل.[٤]

«١» القرقساني ، الانوار والمراقب ١/٥٦-٥٧

«٢» Z. Ankory, Karaites in Byzantuim, pp.377-378

«٣» القرقساني، الانوار والمراقب ١/٥٧-٥٨

«٤» المصدر السابق Z.Ankory, p.386

وكان من الذين ظهروا بعد وفاة عنان ابو عمران موسى الزعفراني التفليسي (من القرن التاسع الميلادي) الذي كان اصله من الزعفرانية (قرب بغداد) ثم هاجر الى مدينة تفليس (التي تسمى الآن تبليسي في الاتحاد السوفياتي).

وقد ذكر عنه بانه كان تلميذاً لاسماعيل العكبري. وقد تبع في كثير من ارائه استاذه ولكنه تبع رأي عنان في اراء اخرى مثل احكام الطعام كتحريمه أكل إلية الشاة. وكذلك في عدد المحارم في الزواج وقد بقي مجموعة من اتباعه الى القرن الحادي عشر الميلادي.[١٩]

وكان من معاصري التفليسي يهودي آخر اسمه مالك الرملي (من الرملة في فلسطين). وقد قيل عن مالك بانه كان تلميذاً لعنان بن داود وقد سميت مجموعته " المالكية ". وقد خالف بعض آراء عنان الفقهية وخاصةً فيما يتعلق باحكام الطعام. وكان من آرائه التي عرفت عنه انه كان يقول " إن الله تعالى لا يحيي يوم القيامة من الموتى إلا من احتج عليه بالرسل والكتب" [٢٠]، ولم يصلنا من هؤلاء مؤلفات معروفة لهم أو منسوبة اليهم.

وكان من ابرز هؤلاء الذين خلفوا عنان بن داود واوسعهم شهرة واكثرهم علماً بنيامين النهاوندي (ت٨٦٠ م). والنهاوندي هو اول من اطلق اسم القرائين على هذه الفرقة.

وكان النهاوندي قاضياً لليهود في نهاوند (في ايران)، وقد اعتبر الرجل الثاني – علماً ومرتبة – في هذه الفرقة وله عند القرائين منزلة رفيعة. ويعتبر بعض التلموديين الكبار مثل سعاديا الفيومي ويهودا

١٩، المصدر نفسه Z . Ankory, pp. 367- 371

٢٠، القرقساني ، الانوار والمراقب ٧/١، والمقريزي، الخطط ٣٧٥/٢

هاليفي عنان بن داود والنهاوندي مؤسسي فرقة القرائين بل حتى المسلمون عندما يتحدثون عن هذه الفرقة فإنهم يقولون عن اتباعها بأنهم اصحاب عنان والنهاوندي .»١«

وقد قال عنه القرقساني «وكان في ايام اسماعيل العكبري ايضاً بنيامين النهاوندي وكان ايضاً عالماً باقاويل الربانيين (التلموديين) قوياً في الكتاب ... وقد وقع له في كثير مما قاله الحق غير انه في بعض المواضع لايستعمل القياس بل يبعد منه جداً. وكلامه يدل على انه كان حريصاً على اتباع النصوص والاستخراج من النص». »٢« وقد كتب النهاوندي كتابين مهمين باللغة العبرية احدها " سفرها مصوت " (كتاب الفرائض) والاخر " سفر دينيم " (كتاب الاحكام). ويبدو ان هذين الكتابين كانا جزءاً من كتاب ضخم في شريعة اليهود.

وكذلك كتب تفسيراً على بعض أسفار التوراة باللغة العربية»٣«. ومن مسائل الفقه التي عرف بها انه كان يحرم الزواج بالأخت من الرضاعة وكان يعتبر فصل رأس الطير عن جسمه ذكاة له. ومن ارائه ان المولود إذا ولد ميتاً لا يعتبر نجساً وإنما النجس ما يموت خارج البطن.»٤« ويعتبر النهاوندي أول من خاض في مسائل علم الكلام وموضوعاته من القرائين. ومن المسائل الرئيسية التي اهتم بها مسألة نفي التجسيم عن الخالق. وقد اخذت هذه المسألة موقعاً مهماً في بحوث القرائين ودراساتهم وهي من المآخذ الرئيسية التي اخذها القراؤون على التلموديين فيما يتعلق بمسائل علم الكلام، وأصبحت

»١« دائرة المعارف اليهودية مادة : Karaites

»٢« الانوار والمراقب ١٣/١

»٣« L. Nemoy, Karaites Anthology, p.22

»٤« الانوار والمراقب ٥٥/١

موضع نقاش واختلاف بين الفرقتين. فالقراؤون منذ بداية نشوء فرقتهم نفوا نفياً قاطعاً أن تكون صفات البشر التي أطلقتها التوراة على الخالق صفات حقيقية - وكان للمعتزلة تأثيرهم على القرائين في هذا المجال - كما سنرى فيما بعد. وكان للنهاوندي رأي شهر به وعرف عنه في مجال تنزيه الخالق. فقد قال بما ان الله ليس بجسم إذن لا يجوز عليه ان يتدخل في عملية خلق الاجسام ولذلك فقد خلق مَلَكاً اولاً وهذا المَلَك هو الذي خلق العالم، وهو الواسطة بين الخالق والخلق وكل ما هو موجود في التوراة من صفات البشر أشير به الى الله إنما هي في الحقيقة صفات لذلك المَلَك. حتى التجلي على سيناء وتكليم موسى انما يعزى لذلك الملك وينسب اليه. «١»

وكان الشهرستاني قد ذكر هذا الرأي كذلك عن بنيامين النهاوندي عند حديثه عن فرقة المغاريّة. فقد قال " وقيل صاحب هذه المقالة هو بنيامين النهاوندي قرر لهم هذا المذهب وأعلمهم أن الآيات المتشابهة في التوراة كلها مؤولة، وانه تعالى لايوصف بأوصاف البشر ولا يشبه شيئاً من المخلوقات ولايشبهه شيء منها، وإنما المراد بهذه الكلمات الواردة في التوراة ذلك الملك العظيم ". «٢» وقد تبع النهاوندي بعض علماء القرائين في هذا الراي كما سنرى وإن كان عامتهم لم يوافقوه عليه.

ومن آرائه التي تفرد بها وتميز رأيه في ان العقاب بعد الموت لايقع

«١» M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol,1,p.401

«٢» الملل والنحل جـ٢ ص ١٥٦، و مما يجب ذكره هنا ان الاسم " المغاريّة " قد حرف في نسخ الملل والنحل الى "المقاربة".

على الجسم والروح معاً وإنما يقع على الجسم فقط.[١]

ولقد خصص سعاديا الفيومي مقاطع من كتابه " الامانات والاعتقادات " للرد على هذا الرأي.

وممن عاصر النهاوندي من القرائين واشتهر دانيال بن موسى القومسي من طبرستان والذي يعتبره القراؤون من متقدمي علمائهم ومبرزيهم. يشهد على ذلك النص الآتي " ولم ار احداً من منتحلي النظر انصح لنفسه من دانيال القومسي، ولامن يعطي النظر حقه ويوفيه ما يجب له مثله. وذلك ان كل ما اظهره له النظر وساقه اليه البحث واوجبته عليه الحجة انتقل اليه واتخذه. وايضاً فانه يكتب الى أصحابه الذين نسخوا كتبه يعرفهم ما قد ظهر له مما هو خلاف لما كان في كتبه من قبل ويأمرهم بتدوين ذلك في كتبه. غير انه لم يرتض المعقول بل وينكره ويعيب اهله في كتبه كثيراً إلاانه قوي في الكتاب عالم في اللغة.[٢]

ومن اشهر كتبه كتاب في الفرائض . وللقومسي آراء اختص بهاوتفرّد. منها انه حرم دم السمك و انه كان يعتبر الانسان مكلفاً شرعاً عند بلوغه العشرين من عمره. وحرم اشياء في السبت منها ان يغسل الانسان يديه بالاشنان.[٣] ومن ارائه التي انفرد بها ايضاً انكاره وجود الملائكة. وقد فسر لفظة " ملاخيم " العبرية التي تعني "ملائكة " والتي وردت كثيراً في العهد القديم بالقوى الطبيعية مثل الرياح والاعاصير والبراكين والغمام وغيرها. وقال ان هذه ترسل

«١» M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol,1,p.401

«٢» القرقساني ،الانواروالمراقب ١/٤-٥

«٣» القرقساني، المصدر نفسه، ١/٥٩ والإشنان نوع من نبات الحمض تغسل به الايدي.

لخدمة الاله. وعلى هذا - يقول القومسي - فليست هناك مخلوقات عاقلة تسمى ملائكة. وقد كان من بعض أدلته على ذلك ما جاء في المزمور ٧٨/٤٩ " أرسل عليهم شدّة غضبه سخطاًورجزاً وضيقاً جيش ملائكة أشرار". وكذلك ما جاء في المزمور ١٠٤/٤ " الصانع ملائكته رياحاً وخدّامه ناراً ملتهبة. "١" وقد حكي عن القومسي انه كان يجيز شهادة المسلمين في إثبات رؤية هلال الشهر. "٢"

بالاضافة الى هؤلاء الاشخاص كانت هناك مجموعات أخرى لم يعرف زعماؤها ولم يشتهروا، وكان لهذه المجموعات آراؤها المعروفة بها او المنسوبة اليها في مسائل الفقه والأحكام الشرعية. ولكثرة هؤلاء وتعددهم عقد بعضهم باباً خاصاً لهم تحدث فيه عنهم وذكر بعضاً من ارائهم عنونه هكذا " في ذكر ما يختلف فيه القراؤون في عصرنا هذا وقبل ذلك ممن ليس هو منسوباً الى احد الأفاريق التي تقدم ذكرها".

وقد ذُكرت تحت هذا العنوان آراء مجموعات من هذه الفرقة كالبغداديين والتستريين والبصريين والخراسانيين وأهل الجبال واهل الشام ليس هذا حسب بل ان بعض هؤلاء انقسموا الى متقدمين ومحدثين. "٣" هكذا كان وضع الفرقة وهكذا كان اختلاف الرأي بين ممثليها. ويبدو لي أن أحد اسباب ذلك هو البيئة الاسلامية التي كانت تعيش الفرقه فيها.

فقد كان علماء فرقة القرائين يفهمون اللغة العربية ويجيدونها،

"١" دائرة المعارف اليهودية مادة : Karaites

"٢" القرقساني المصدر السابق ٥٩/١

"٣" القرقساني المصدر نفسه ٦٤/١

مطلعين على ما يكتبه علماؤها وفلاسفتها، بل انهم في هذه الفترة لم يكتبوا - سوى عدد قليل منهم -إلا باللغة العربية. وكانت هذه الفترة (القرن الثاني والثالث الهجريين) قد تميزت بظهور المدارس الفقهية والكلامية والاراء الفلسفية، وليس من شك في ان ذلك كان قد انعكس عليهم وأثر فيهم. وكان احد هذه التأثيرات عليهم هو فتح باب الاجتهاد كما هو عند المسلمين بالاضافة الى ان الفرقة كانت جديدة في ظهورها حديثة في نشأتها. ومن الطبيعي ان يكون في الفترة الأولى من بداية نشوء الفرقة -أية فرقة- تعدد آراء واختلاف وجهات نظر، وإن كنت أعتقد ان ما حدث بين القرائين في هذه الفترة في هذا المجال كان اكثر مما يجب.

وعلى الرغم من هذه الاختلافات بين علماء فرقة القرائين ومجموعاتهم فقد اصبح لها وجود مميز ومعترف به من قبل غير اليهود، واصبحت من اكثر الفرق اليهودية عدداً واكبرها في هذه الفترة حجماً، وانتشر اتباعها في العراق وايران وفلسطين وسوريا ومصر وغيرها من البلدان الاخرى اذ نشط علماؤها في الدعوة الى فرقتهم كتابة وكلاماً.

ولكن التلموديين ظلوا يؤذون افرادها ويضايقون اتباعها خاصة في بداية نشوء الفرقة، حتى اضطر القرائي احياناً ان يخفي حقيقة امره ويتستر على معتقده بسبب خوفه من فتك التلموديين به والإعتداء عليه. وقد اصدرت المؤسسة الدينية اليهودية الرسمية قرارات بحرمان القرائين من اليهودية وطردهم منها وكان منها القرار التالي الذي أصدره الجاءون نطروناي بن هيلي (ت حوالي ٨٦٠ م) رئيس مدرسة سورا والذي جاء فيه «ان هؤلاء (القرائين) الزنادقة الذين يسخرون من كلام العلماء ويحتقرونه هم تلامذة عنان عسى الله ان يمحو ذكره.

http://al-maktabeh.com

فإنه هو الذي قال للذين اتبعوه على فسقه اتركوا المشناة والتلمود وسأجعل لكم تلموداً جديداً. ولا زال هؤلاء يتعلقون بأوهامه وقد اصبحوا كما لو كانوا طائفة اخرى. والواقع فانَّ عنان قد جعل لهم تلموداً وهو تلمود سيء كما هو بيِّن من كتابه المقيت " كتاب الفرائض". والآن فان هؤلاء يجب ان يطردوا (من اليهودية) ويجب ان يمنعوا من الدخول الى معابد اليهود المؤمنين وان يبعدوا الى ان يغيروا طريقهم ويتبعوا التوراة التي تطبقها مدرسة سورا ومدرسة فومبيتدا». [١]

ولم يكن مثل هذا القرار ليؤثر عليهم لأنهم كانوا قد انفصلوا عن اليهودية عن قناعة وإيمان بأفكار الفرقة ومبادئها ولم يكونوا يعترفون بالمؤسسة اليهودية بله قراراتها.

---

[١] S. Dubnov, History of the Jews, vol 2,p.370 and L. Nemoy, Karaite Anthology, p.3-4

www.
al-maktabeh
.com
مكتبة
المهتدين

الفصل الثاني

هجوم الجاءون سعاديا الفيومي على القرائين وردهم عليه

هجوم الجاءون سعاديا الفيومي على القرائين وردهم عليه

بعد ان يئس التلموديون من التخلص من فرقة القرائين رضخوا للأمر الواقع على مضض، وان ظلوا يحاربونها وينتقدونها. ولكن واحداً من كبار حاخاميهم ومشهوري علمائهم وفلاسفتهم رأى في استمرار هذه الفرقة خطراً على اليهودية واليهود وأنها يجب ان تهاجم وتحارب. وكان هذا الرجل الجاءون سعاديا بن يوسف الفيومي (ت ٩٤٢ م) الذي قرّ رأيه على القيام بحملة قوية ضد افكار الفرقة ومؤسسها.

وقد بدأ سعاديا حملته هذه باصدار كتابه المشهور " الرد على عنان" وهو أول كتاب مستقل يكتب في الرد على عنان وأفكاره وإن كان يضم ايضاً نقداً على القرائين بصورة عامة. وقد كتب سعاديا كتابه هذا باللغة العربية لعلمه بان القرائين يقرأون العربية ويجيدونها الى جانب انها كانت لغة العصر في حينها.

وقد ذكر سعاديا في كتابه اكثر مسائل الخلاف بين القرائين والتلموديين وبذل فيه جهوداً في رد حجج القرائين وأدلتهم على رفض ما رفضوه مثل مسألة التلمود. وهو في الوقت نفسه يدافع عن

http://al-maktabeh.com

التلمـوديين ويدعم أفكارهـم ويقـوي من أدلتـهم. ولم يكتف سـعـاديا بالنقاش العلمي والجدل الفكري بل تجاوز ذلك الى الثلب والطعن على مؤسس الفرقة واتباعـها. فقد أطلق على عنان اوصـافاً ينتقصـه بها. فسماه مرة "خارجياً" وثانية "جاهلاً" وثالثة نسبه الى قلة العقل. واتهم الفرقة بأنها فرقة "خارجة" "مارقة" عن اليهودية. وقال عنها بأنها انجرت وراء الثقافة الإسلامية وتأثرت بها. وذكر من الادلة على ذلك تعيين اليوم الاول من الشهر عن طريق رؤية الهلال وقال في ذلك: "لقد ظل تقسيم السنة يتبع الحسابات الفلكية الى ان جاء حكم بني إسماعيل (المسلمين) واصبح ركيناً فجاءوا بنظام جديد فمال عنان -الذي ظهر نجمه في فترة هذا الحكم - الى رأيهم من أجل ان يكسب تأييدهم"[١]

ولم يكن هذا هو الكتاب الوحيد الذي كتبه سعاديا الفيومي ضد عنان والقرائين بل إنه كتب كتاباً آخر أسماه "كتاب التمييز" وقد اشار سـعـاديا في كتـبـه الى هذا العـمل وأحـال عليه وقـد وصلتنا بعض المقتطفات منه.

أما في كتابه الآخر المسمى " القياس على الشرائع السمعية" فإنه انتقد فيه كذلك عنان والقرائين وأطلق على عنان هنا عبارة "صاحب بدعة" واطلق على القرائين اسم "الخوارج" واسماهم كذلك " قوماً ممن يتسمون باليهودية ".[٢]

«١» J. Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literature, vol, 2, p.402

«٢» S.Poznanski, The Karaites Literary Opponents of Saddia Gaon ,pp.97-99

حتى في تفسيره العربي على التوراة لم يسلم عنان والقراؤون من نقده كلما واتته المناسبة وسنحت له الفرصة. وكان هجوم سعاديا بكل الاعتبارات هجوماً اتسم بقوة النقد وقسوة الرد إذ ارسل فيه سعاديا قوله دون اهتمام بأصول المناظرة وأدب الجدل. لذلك كان لهذا الهجوم وقع كبير على القرائين وتأثير في نفوسهم ليس بسبب قوته حسب ولكن بسبب شهرة صاحبه الذي كان له من المنزلة العلمية والدينية الشيء الكثير. ولم يستقبل القراؤون نقد سعاديا بالسكوت وعدم التصدي بل وقفوا له بقوة وقامت له قائمتهم يدافعون عن مؤسس الفرقة وعن عقائدها، ويردون على سعاديا ونقده رأياً برأي وحجة بحجة. وقد صار الرد على سعاديا يكوّن جزءاً من أدبيات القرائين ونتاجهم الفكري. وبدأ القراؤون بذلك وسعاديا ما زال حياً يرزق وقد رأيت من المفيد أن أذكر باختصار بعض الذين ردوا عليه في حياته لنرى شيئاً من تاريخ هذه الفرقة في هذه الفترة.

فكان من اوائل الذين ردوا على سعاديا أبو السريّ بن زوطا الذي عاش في مصر في النصف الاول من القرن العاشر الميلادي. ولم يصلنا من مؤلفات هذا الرجل شيء إلا ان ابن عزرا المؤلف التلمودي ينقل عنه في تفسيره للتوراة بعض الاراء. ويبدو ان نقاشه مع سعاديا كان بالقول لا بالكتابة. ويبدو ايضاً أن ذلك كان قبل ان يترك سعاديا مسقط رأسه مصر ويستقر في العراق.[١]

وكان من هؤلاء الذين ردوا على سعاديا في حياته قرائي اسمه ابن ساقويه الذي لا نعرف عن حياته شيئاً وكان ابن ساقويه قد كتب كتاباً

---

[١] M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol,1,pp.403-4

اسماه " كتاب الفضائح" يرد فيه على التلموديين بصورة عامة وسعاديا بصورة خاصة. وقد قسم المؤلف كتابه الى عشرة فصول شملت اكثر المسائل الخلافية بين الفرقتين. وقد اشار ابن الهيتي القرائي الى هذا العمل فقال " وابن ساقويه رحمه الله رد على الربانيين (التلموديين) وعلى الفيومي في الهلال والأبيب والعنصرة والإلية والشحم والتقليد وأبطل نقلهم."[١]

ويبدو ان هذا الكتاب كان له تأثيره على التلموديين إذ جعل سعاديا يخصص له كتاباً في الرد عليه اسماه "الرد على ابن ساقويه". وفيه يقول سعاديا من جملة ما يقول، إن عنوان الكتاب يناسب مضمونه تماماً إذ كله فضائح على المؤلف وأصحابه. ويسمى سعاديا ابن ساقويه في كتابه مرة "بالجاهل" ومرة يسميه "بالجديد" واحياناً يطلق عليه عبارة "هذا الرجل". ومن الذين ردوا على سعاديا وانتقدوه في حياته مؤلف اسمه سلومون بن يروحام واسمه العربي سليمان بن رحيم. ولا نعرف الشيء الكثير عن سلومون هذا ولكن يعتقد بأنه وُلد في فلسطين أو في العراق بين عام ٩١٠م و٩١٥م."[٢] وكان يسافر من مكان الى مكان من أجل الدعوة الى فرقته والدفاع عنها. وقد كتب كتاباً في الرد علي التلموديين عامة وسعاديا خاصة اسمه "سفر ملحموت هاشم" (كتاب حروب الرب). ولقد كتب الكتاب باللغة العبرية ووعد بترجمته الى اللغة العربية، ولكن يبدو انه لم يقم بذلك. وقد كتب الكتاب باسلوب ادبي مسجع تسوده مسحة من

---

١. S.Poznanski, The Karaites Literary Opponents of Saddia Gaon ,p.6

٢. المصدر السابق، S.Poznanski p.16

التكلف والتصنع ويعتقد بانه كتب عام ٩٤٠م[١]. ويناقش مؤلف الكتاب التلموديين في مسائل الخلاف بين الفريقين مثل صفات التجسيم وكذلك العبارات غير اللائقة التي يطلقها التلموديون على الخالق مثل انه يصلي وانه يوقي نفسه بأدعية وتمائم وغير ذلك من المسائل الاخرى.[٢]

وفي الكتاب هجوم شديد على سعاديا. وعلى الرغم من انه ناقشه في عدد من المسائل الا ان ذلك انتهى الى نقد شخصي.

وقد عثر على اجزاء من هذا الكتاب وطبعت في بداية هذا القرن.[٣] وقد كتب سلومون شروحاً على بعض اسفار العهد القديم باللغة العربية. وهو في شروحه هذه ينتقد سعاديا ايضاً ويرد عليه خصوصاً في شرحه على المزامير. وهو يتحدث عن سعاديا وكانه رجل نكرة. فيقول مثلاً " وشاهدت في عصري رجلاً يعرف بالفيومي"[٤] ويشير في شرحه على المزمور ١٠٤ الى كتاب له في الرد على سعاديا. ومن الممكن ان تكون هذه الإشارة الى الكتاب أعلاه.

وممن كتب ضد سعاديا وناقشه في حياته مؤلف اسمه حسن (او حسين) بن مشيح وكان ابن مشيح هذا قد كتب رسالة خاصة في الرد على سعاديا. وقد وصلنا جزء من هذه الرسالة وفيها نقاش لرأي سعاديا في موضوع الحسابات الفلكية في تحديد اليوم الاول من الشهر. ويرد عليه بان هذا النظام ليس قديماً كما يدعي سعاديا.

«١» L. Nemoy,Karaites Anthology, p.69

«٢» S. Dubnov, History of The Jews, vol3, p.408

«٣» S. Poznanski,p.13 المصدر السابق

«٤» S.Poznanski p.13 المصدر نفسه

فالصدوقيون «١» مثلاً كانوا يعتمدون في تحديد رأس الشهر على رؤية الهلال. «٢» ويذكر ابن الهيتي أن ابن مشيح تحدّى سعاديا لمناقشه وجها لوجه، ولكن هذا الأخير رفض ذلك وما كان من ابن مشيح في يوم من الأيام الاّ أن دخل على سعاديا في مسكنه في العراق وطلب منه المناظرة ولكن سعاديا رفض ذلك وصاح في وجهه وأخرج من داره «٣».

وممن رد على سعاديا في حياته – كما قيل – يافث بن علي هاليفي (أبو علي الحسن بن علي البصري) من مدينة البصرة في العراق ويسميه القراؤون « منير الشتات». وكان يافث قد ترجم العهد القديم كله الى العربية وكتب تفسيرا عليه في عشرين جزءا. «٤» وقد وصلنا شيء من الترجمة والتفسير. ولقد اعتمد عليه من جاء بعده من القرائين بل حتى بعض التلموديين من اليهود مثل ابن عزرا ينقلون عنه كثيرا. وهو في تفسيره يحاجج التلموديين وسعاديا وقد ذكر في

«١» الصدوقيون فرقة يهودية نشأت في القرن الثاني قبل الميلاد واستمرت في البقاء الى مابعد القرن الاول الميلادي بقليل . وتنسب هذه الفرقة الى زعيمها «صادوق» الذي كان كاهنا. ويرى بعض الباحثين أن فرقة القرائين هي استمرار لفرقة الصدوقيين ولكني لا أرى ذلك على الرغم من بعض التشابه الموجود في الآراء بينهما كرايهما في الاعتماد على التوراة فقط كمصدر للشريعة اليهودية . ولا نود التوسع في هذا الموضوع هنا إذ نأمل ان ننشر قريبا ماكتبناه عن موضوع فرقة الصدوقيين .

«٢» المصدر السابق S. Poznanski, p.13

«٣» L. Nemoy, Karaite Anthology , p. 119

«٤» M.Waxman, A History of Jewish Literature,vol.,1, p. 404

http://al-maktabeh.com

تفسيره بانه سيفرد كتابا خاصا في الرد على سعاديا. إذ يقول «فان فسح الله في العمر فردت لهذا الباب كتابا يحتوي على جميع ما اثبته في كتبه (أي سعاديا) من كتب التفاسير وغيرها وأظهر عليه في كل باب وباب ان شاء اللّه.»[١] وقد ذُكر بانه قد كتب هذا الكتاب فعلا بل وكتب رسالة مسجعة في الرد على يعقوب بن صموئيل تلميذ سعاديا[٢] ومن المتعصبين له.

والى جانب ذلك فقد نظم يافث بن علي شعرا عبارة عن رباعيات وهي مرتبة على ترتيب الحروف الهجائية في نقد سعاديا والتلموديين.[٣]

وكتب يافث كتابا في نحو اللغة العبرية اسماه «سفاه برورا» (اللغة الواضحة). وممن ناقش سعاديا ايضا في حياته ابو سعيد داود بن بُعز الذي يسمى بالرئيس وهو من احفاد عنان بن داود. وكان أبو سعيد قرائيا مهما ذا مكانة اجتماعية وعلمية. وكان زعيما للفرقة إذ اصبحت قيادة هذه الفرقة في أبناء عنان وأحفاده. وقد كتب ابو سعيد تفسيرا على التوراة وكتابا في العقائد اسماه " كتاب الاصول" وهو باللغة العربية.[٤] وفي نقاشه مع سعاديا يبتعد عن استعمال عبارات الثلب والانتقاص بل انه يلتزم بأدب المناظرة وعندما يمرّ على ذكر سعاديا فكثيرا مايتبعه بعبارة «رحمه الله »[٥] على الرغم من ان سعاديا بدأ هجومه على القرائين بكتاب ضد جده عنان.

«١» S. Poznanski, The Karaite Literary Opponents of Saadia Gaon p.21

«٢» المصدر السابق M. Waxmann, vol 1., p. 405

«٣» المصدر السابق S. Poznanski, p. 28

«٤» المصدر السابق M. Waxmann, vol, 1, p. 402

«٥» المصدر السابق S. Poznanski, p.19

ومن علمائهم الذين تصدوا لسعاديا سهل بن مصلياح هاكوهن (ابو السري) وكان سهل من أشهر الدعاة القرائين وخطبائهم في القرن العاشر الميلادي. وكان قد جاب البلاد في رحلات متعددة لغرض الدعوة الى فرقته، فذهب من فلسطين الى العراق ثمّ الى مصر والى بلاد اخرى يدعو التلموديين الى الانضمام الى القرائين. وقد التقى في القاهرة يعقوب بن صموئيل. فكانت لسهل معه مطارحات ومناقشات حادة وكان يعقوب يشهر بسهل أمام اليهود ويتهمه بإثارة الفتنة وإيغار الصدور وتحويل اليهود التلموديين الى قرائين. وقد كتب سهل أيضاً رسالة يرد فيها على يعقوب ويحاوره في آرائه وآراء التلموديين. وقد وصلت الينا هذه الرسالة وهي تتسم باسلوب قوي فيه الكثير من العاطفة والحماس خصوصا عند دعوته اليهود الى الانضمام الى فرقته «١». وكذلك كتب رسالة خاصة في الرد على سعاديا ولكن هذه لم تصل الينا «٢».

- كما أنه ألّف كتابا اسماه «كتاب الفرائض» وهو باللغة العربية. وقد هاجم فيه التلموديين ايضا واتهمهم بأنهم أناس متسلطون على الناس يفقرونهم بالضرائب ويفرضون آراءهم عليهم بالتهديد والتنديد وإن المدارس اليهودية التلمودية ماهي الاّ أوكار للشر والفساد. «٣»

«١» انظر بعض المقاطع منها في L.Nemoy, Karaite Anthology, pp. 111-112

«٢» المصدر السابق S. Poznanski, p 32

«٣» S. Dubnov, History of the Jews, vol., 2, p. 409-410

وكتب كذلك سهل تفسيرا على التوراة وكتابا في نحو اللغة العبرية.«١»

ومن الذين حملوا على سعاديا وناقشوه في حياته ايضا أبو عنان اسحق بن علي بن اسحق الذي كتب كتاباً اسماه « كتاب السراج ». ولقد عدّ ابن الهيتي أبا عنان هذا من كبار علماء القرائين في عصره.«٢»

ويعتبر القرقساني واحدا من أبرز علماء القرائين الاوائل ومن مشاهيرهم الذين دخلوا معركة الجدل والنقاش هذه وكتبوا فيها وخاضوا غمارها.

ولقد كتب القرقساني عدة مؤلفات كلها بالعربية منها " كتاب التوحيد " وشروح على التوراة و "كتاب الرياض والحدائق " الذي انتهى من تأليفه - كما هو مذكور في نهايته - في ربيع الثاني عام ٣٢٦ هـ. ومن كتبه « كتاب الانوار والمراقب » الذي اتمّ تأليفه عام ٣٢٥ هـ.«٣» وكتابه الأخير الذي وصل الينا كاملا يدل على أن مؤلفه ذو ثقافة واسعة بعلم الكلام والفلسفة والفقه. ولقد خصص فصولا من كتابه هذا لمناقشة سعاديا في العديد من المسائل ورد حججه دون أن يمس شخصه«٤». إضافة الى مناقشته للتلموديين بصورة عامة في كثير من المسائل. وسنعود الى هذا الكتاب في فصل آخر من كتابنا عند الحديث عن تأثر القرائين بالثقافة الاسلامية.

«١» المصدر السابق M. Waxmann, vol.1, p. 405

«٢» المصدر السابق L. Nemoy, p. 235

«٣» المصدر السابق S. Poznanski, p.8

«٤» انظر على سبيل المثال ١/٧٩ - ١٠١ و ص ١٢٣ - ١٣٤

وظل القراؤون يكتبون الردود على سعاديا حتى بعد وفاته واستمر ذلك الى قرون طويلة. وكان أشهر من كتب في ذلك في القرن الماضي ابراهام فرقوفتش (ت ١٨٧٤ م) من روسيا. وقد اصبح موضوع الرد على سعاديا ومناقشته جزءا كبيرا من تراث القرائين. ومن اراد أن يعرف حجم ذلك ما عليه الاّ أن يراجع كتاب The Karaite Literary Opponants of Saadia Gaon الذي ألفه .S.Poznanski.

وعلى الرغم من الردود التي كتبها القراؤون على سعاديا ومناقشتهم لآرائه فيهم ونقدهم له، اعتبر هجومه على الفرقة من اهم الاسباب التي نالت من توسعها وعاقت من اعتناق اليهود لها والانضمام اليها. وقد ذكر بعض مؤرخي اليهودية « إن الذي حفظ اليهودية وانقذها من خطر كاد يعصف بها ويشتت شملها هو العمل الذي قام به الحاخام سعاديا بن يوسف الفيومي »[١]. وعلى الرغم من هذا التاثير السلبي الذي أثره سعاديا على الفرقة فقد كان لهجومه نتيجة إيجابية. إذ كانت الفرقة كما رأينا ممزقة باختلاف الرأي وتعدده بين ممثلي الفرقة وعلمائها، فكانت بحاجة الى شيء من الرأي الموحد والاتفاق في الرأي من اجل حفظ بقائها واستمرارها. وكان هجوم سعاديا سبباً رئيسيا في ذلك. فمنذ أن أصدر كتابه في الرد على عنان بدأت الاختلافات تخف حدتها وتضيق شقتها، وبدأ القراؤون يركزون على تثبيت أقدام فرقتهم بتأليف الكتب التي تتعلق بأصول العقيدة والفقه والاحكام كما سنرى فيما بعد.

---

[١] R. Jospe and S. Magner, Great Schisms in Jewish History, pp.55-56.

الفصل الثالث

أدلة القرائين على رفضهم للتلمود

http://al-maktabeh.com

أدلة القرائين على رفضهم للتلمود

من مسائل الخلاف المهمة بين التلموديين والقرائين مسألة رفض القرائين للتلمود [١]. والتلمود كما ذكرت في مقدمة الكتاب يعتبر لدى التلموديين اليهود « الشريعة الشفوية » التي تكّون مع التوراة «الشريعة المكتوبة » أساس اليهودية التي قامت عليهما ومازالت/ ولم يكن رفض القرائين للتلمود تطورا طرأ على فكر الفرقة خلال تاريخها، وإنما كان هذا الرفض من المسائل الاولى التي أعلن عنها مؤسس الفرقة وصاحبت تاريخها واستمرت باستمرارها. وقد أعطى القرائون أدلة لرفضهم هذا. وأرى من الانصاف والموضوعية أن أعرض مايقوله كلا الجانبين بهذا الخصوص.

فالتلموديون يقولون إن التوراة كتاب مغلق لايقبل التطبيق دون الشريعة الشفوية خصوصا وان كثيراً من فرائضها ذو أسلوب صعب على الفهم، عسير على الادراك، وان سمة الغموض في هذه الفرائض لايمكن ازالتها ولا التغلب عليها بواسطة الطرق المعروفة في البحث والنظر والقياس. ومن هنا جاءت أهمية الشريعة الشفوية (التلمود) لتوضح الغامض، وتشرح الصعب وتفسر المبهم. لذلك تكون الشريعة الشفوية مكملة للشريعة المكتوبة ومتممة لها.

«١» التلمود عبارة عن شروح علماء اليهود وتعليقاتهم على المشناة.

وقد ردّ القراؤون على هذا بقولهم ان الشريعة المكتوبة كاملة ولاتحتاج الى إكمال والدليل على ذلك ماجاء في المزمور ٨/١٩ «توراة الاله كاملة ». وإن التوراة تفسر نفسها بنفسها وأنه بالامكان فهم معاني كل فرائضها وكشفها بواسطة البحث المبني على التوراة نفسها . وقد استدل القرائي ابن أشر على عدم وجود شيء غامض في وصايا التوراة بما جاء في سفر التثنية ١١/٣٠-١٤ « إن هذه الوصية التي أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك ، ليست هي في السماء حتى تقول من يصعد لأجلنا الى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا اياها لنعمل بها، ولاهي عبر البحر حتى تقول من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا إياها لنعمل بها. بل هي كلمة قريبة منك جدا في فمك وفي قلبك لتعمل بها » وقال ايضاً إذا كانت معاني التوراة خفية وغامضة فحينئذ لايكون اليهود مذنبين اذا لم يطبقوها .[١]

ثم ذكر التلموديون أدلتهم على وجوب الأخذ بالتلمود فقالوا « لما دفع الله التوراة الى موسى ع في سيناء عرّفه تفاسيرها ومعانيها ولقّن ذلك موسى لبني اسرائيل وبينه لهم حيث جمع حكماء بني اسرائيل فاوضح لهم معاني التوراة مما ليس مشروحاً فيها الاّ برمز. وهذا الذي شرحه موسى هو التلمود والمشناة وان بني اسرائيل إنما أصابهم الجلاء والشتات لانهم زهدوا في التلمود الذي أشير له في احدى عبارات التوراة بكلمة « دعه ».[٢] وإن العلماء التلموديين هم الذين يعرفون التوراة ماهو مكتوب منها وماهو مقروء.

«١» N. Wieder, The Judean Scrolls and Karaism pp. 57-58

«٢» كلمة عبرية معناها" معرفة "أو" حكمة "وهي من الجذر العبري «يدع».

وإن غلط كاتب بحرف واحد عرف العلماء موضعه ومعناه وشرحه حتى عدد الكلم والحروف والفواسيق [١] قد وقفوا عليها، لذلك من يخالفهم يستحق القتل.

وإن التلمود والمشناة بالنسبة الى التوراة يشبهان صكاً يكون فيه شاهدان فهما يشهدان، بالذكر ويخطهما الذي في الصك. فمن ذا الذي يقدر ان يسقطهما. وكذلك الحكماء يشهدون على التوراة المكتوبة ويشهدون ايضا للتوراة بالفم (الشفوية) وشهادتهم من أيام موسى [٢] الى هذه الغاية فهم يتوارثونها جيلا بعد جيل على التوراة وعلى التلمود والمشناة فمن ذا الذي يقدر أن يرد شهادتهم.

وأيضا فانك تجد الباريء عزَّ وجل قد أكد أمر الحكماء وأكثر من أمر الانبياء وقد رضي بهم واختارهم ووثق بهم الى آخر الدهر فكل من ظن انه يشرح كلام التوراة من غير قول الحكماء لم يتم له ذلك-

وقد رد القراؤون على هذا الادعاء بقولهم : إننا نوافق على أن موسى بيّن التوراة وشرحها لهم ولانابى ذلك ولكن ذلك البيان والشرح ليس التلمود والمشناة والدليل على ذلك الآتي :

اولا- مايوجد في التلمود والمشناة من اراء مختلفة بينهم فيها المنازعات والاختلافات، ولو كان ماذكر أنه هو النقل الصحيح لم يحتج ان يقول كل واحد منهم شيئا ويستدل عليه ثم يأخذون بأحد الاقوال ويرسون عليه. وفي تنازعهم واختلافهم قبل هذا الرأي مايدل على أن ماتوصلوا له إنما كان عن حجة ودليل لا عن اعترلف بالنقل واقرار به إذ لو كان نقلا لاستغنى فيه عن المنازعة.

---

[١] كلمة عبرية مفردها فسوق وجمعه العبري فسوقيم وهي تعني عبارة (من التوراة).

ثانيا : إن النقل هو ماكان في يد الأمة بأسرها ليس بينهم فيه خلاف. بل جميعهم متفق عليه لايحتاج الى استخراج واستنباط ومتى ما وقع ذلك فيه أو كان في يد قوم يسير فليس بنقل وإنما هو رأي. وأما بالنسبة الى موضوع الحكماء فان الحكيم هو الذي يستنبط الحكم وأما التلموديون فانهم يخبرون بما قيل لهم وما علموه وإذا كان التلموديون حكماء مستنبطين إذن ماهذا الذي نقلوه ؟

وبالنسبة الى أتباع الحكماء فهو صحيح ولكن هؤلاء الحكماء يجب ان يقيموا البرهان الصحيح على مايقولون والذي لايلحقه طعن ولايجب علينا اتباع من يدعي الحكمة وقوله مخالف للكتاب. وأما مايقولونه من أن الباري رضي بالحكماء وجعلهم أكبر من الانبياء فهو كلام خرافة معادة. «١»

وقالوا كذلك في الرد على التلموديين «الذي حمل أصحابنا على ترك الاقرار بالتلمود والمشناة والأخذ بجميع مافيهما أمران:

أحدهما: أنها ليست كتب تنزيل ولا اتت بها الانبياء وإنما هي كتب موضوعة ومنسوبة الى قوم وثانيهما: لما بان فيهما من الاقاويل الباطلة المستحيلة.»«٢»

وقالوا كذلك:

ويقال لهم (للتلموديين) لايخلو كتاب المشناة من أن يكون مستغنياً بنفسه أم لا أعني انه قد دوّن فيه جميع ماكان في النقل أم لم يدون جميع ذلك، بل قد كانت اشياء بقيت لم تدون فيه. فان كانت مستغنية بنفسها وقد دوّن فيها جميع ماكان في النقل فما معنى التلمود وما

«١» القرقساني ، الانوار والمراقب ١/١١١ -١١٩

«٢» المصدر نفسه ١/٧٨

http://al-maktabeh.com

الذي ثبت فيه إذا كان جميع مافي النقل قد تقدم تدوينه في المشناة. وإذا كانت المشناة غير مستغنية بنفسها ولم يدون فيها جميع ماكان في النقل فلمَ فعلوا ذلك ولمَ اخروا تدوينه الى أن جاء قوم آخرون فدونوه في التلمود. وادعاؤهم أن المشناة والتلمود نقل إنما هو قول محال واحتيال لاثبات ماهم عليه بالتلزيق والتلفيق لما لم يجدوا لذلك سبيلا واحتجاجا من الكتاب، واحتالوا بهذا القول ليموهوا على العوام..»[١]

وقال طوبيا بن موسى القرائي (من القرن الحادي عشر) « نحن مثل التلموديين أبناء اسرائيل، والتلموديون أجدادنا ولدنا بينهم وربينا في معابدهم، فاذا كان مايعتقده التلموديون غير مشكوك فيه ومعروف منذ القدم إذن ماكان يجوز لنا ان نرفض مايقولونه ولما دخل الشك قلوبنا، ولكننا نعرف صدق مانقوله وأحقية الاسباب التي جعلتنا نخالف مايقولون. ثم اننا جالية كبيرة وبما أن لنا نفس الرأي (عن الموضوع) فمن غير المعقول اننا نكذب على انفسنا. »[٢] وهناك مسائل أخرى في التلمود أصبحت هدفاً لنقد القرائين ورفضهم لها وهي مسائل تتعلق بالخالق وصفاته. وقد ذكر القراؤون جملة كبيرة منها وناقشوا التلموديين فيها. وليس من غرضي ان أذكرها كلها ولكني ساقتصر على بعض منها من اجل ان اعطي القارىء فكرة عن نظرة التلموديين الى الخالق ووصفهم له واعتقادهم به. فمن هذه المسائل التي رفضها القراؤون مسألة التجسيم بالنسبة الى الخالق. فالقراؤون كما قلنا يرفضون صفات التجسيم ويعتبرون ماذكر في التوراة من ذلك إنما هو استعمالات في حدود اللغة البشرية التي

«١» القرقساني، المصدر نفسه ١٢٢/١

«٢» Z. Ankory, Karaites in Byzantuim, p. 357 .

لاتستطيع تجاوز ذلك وهي في حدود قدرات الفكر البشري. فالخالق في واقعه - كما يقول القراؤون - ليس بجسم ولاشبيه به ولايمكن ان يوصف كما يوصف البشر.

ويقول القراؤون عن التلموديين «بانهم أجازوا على الخالق التشبيه والتجسيم ووصفوه باقبح الصفات وانه ذو اعضاء ومساحة وحدّوا مساحة عضو عضو منه وكم يكون ذلك من فرسخ وذلك في كتابهم الذي يسمونه « شيعور قوماه »[١] ومعناه «مقدار القامة» يريدون قامة الباري جل تعالى. فقالوا "إنه من قدمه الى جميع قامته مئتان وستة وثلاثون الف فرسخ ".[٢] وقد كان العلماء المسلمون الذين اهتموا بهذه المسائل مثل ابن حزم وانتقدوها وناقشوا مضامينها على علم بهذا الكتاب ومافيه. فقد قال عنه « وفي كتاب لهم يسمى "شعور قوما" من كتاب التلمود، والتلمود هو معولهم وعمدتهم في فقههم وأحكام دينهم وشريعتهم، ففي الكتاب المذكور ان تكسير جبهة خالقهم من أعلاها الى أنفه خمسة الاف ذراع. وقال ايضاً عن كتاب آخر « في كتاب آخر من التلمود اسمه سادرناشيم.[٣]»

«١» « شيعور قوماه » كتاب ينسب الى الحبر اليهودي يشمعئل مع أنه كتب في وقت متأخر جدا عن وفاته . ويضم الكتاب وصفا مفصلا لاعضاء الخالق من حيث الحجم والطول وغيرهما وقد اعطيت هذه الاعضاء اسماء خاصة.

«٢» القرقساني ، الانوار والمراقب ٣١/١.

«٣» «سدرناشيم » معناه قسم أو فصل النساء وهو احد الاجزاء الستة التي يتكون منها التلمود.

"إن في رأس خالقهم تاجا فيه ألف قنطار من ذهب وفي اصبعه خاتم تضيء منه الشمس والكواكب وان الملك الذي يخدم ذلك التاج اسمه صندلفوت «١». وقال القراؤون في نقدهم للتلموديين كذلك "وقالوا في الكتاب المنسوب الى يشمعئل«٢» ان مططرون «٣» يعقد التفلين«١» في

«١» الفصل في الملل والاهواء والنحل ٢/٢٢١. وصندلفوت هو تحريف للاسم الصحيح « سندلفون » الذي جاء ذكره مرتين في التلمود.

«٢» يشمعئل (عاش في القرن الثاني الميلادي) من احبار اليهود الكبار والمقدسين عندهم وقد جاء ذكره في التلمود عدة مرات . وقد ذكر عنه قصص كثيرة منها انه عرج الى السماء ليحتج ضد قرار الحاكم الروماني لمقاطعة يهودا في فلسطين باعدام عشرة مع علماء اليهود ولكنه اخبر بان الامر كان قد قضي وإن الموافقة من الاعلى قد اعطيت على ذلك من اجل التخفيف عن ذنوب اليهود وفي قصة اخرى ان هذا الحبر قد جال السموات واسرّ له ببعض الاسرار من قبل الملائكة وخاصة من العظيم مططرون.

انظر

M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol. 1, p.382 .

«٣» لمططرون درجة عظيمة عند الباطنيين من اليهود. وقد تطورت هذه الدرجة على مرّ الزمن. ففي البداية كان مططرون أحد اسماء الملك ميكائيل ثم بعد ذلك اصبح ملكا مستقلا وبعدئذ اصبح رئيسا للملائكة. وفي احيان اخرى يطلق عليه امير العالم . وقد وضع في عهدته الاشراف على الكون ومافيه . وفي كتبهم المتأخرة اصبحت درجته اعظم واهميته اكبر حتى وصل الى درجة عليا فاطلق عليه يهوه قطن (يهوه الاصغر). وقد اعطي سبعين اسما كما اعطي الاله يهوه.

انظر P.S. Alexander, The Historial Setting of the Hebrew Book of Enoch, Journal of Jewish Studies, vol, XXII (1977) p. 156-180 .

كل غداة في رأس الباري فيصلي الباري تعالى عن ذلك علوا كبيرا. وقد ذكر في التلمود أنّ الله يصلي واستدلوا على ذلك بما جاء في سفر اشعيا ٧/٥٦ «اتي بهم الى جبل قدسي وافرحهم في بيت صلاتي وتكون محرقاتهم وذبائحهم مقبولة على مذبحي لأن بيتي بيت الصلاة يسمى لكل الشعوب.»[٢]

وقال القراؤون ايضا « وقالوا في التلمود ان لله موضعا يقال له المستاريم»[٣] يبكي فيه، لقوله في سفر ارميا ١٧/١٣ « وان لم تسمعوا ذلك فان نفسي تبكي في اماكن مستترة من اجل الكبرياء وتبكي عيني، وتذرف الدموع لانه قد سبي قطيع الرب» وقالوا ايضا «ان الله يقول الويل لي إذ خربت بيتي وأجليت أمتي وزعموا (التلموديون) ان الملائكة يبكون معه وانه منذ خرب بيته قامته منحنية وقالوا انه ينتف من شعره بيديه». «٤»

وقالوا كذلك :

«وقالوا في التلمود ان مططرون هو يهوه قطن (الصغير) واسمه كأسم استاذه وبين يديه مذبح وأرواح الصديقيم «٥» تقرب عليه وانفس أصحاب التلمود حواليه جلوس، والملائكة وقوف بين يديهم منتصبين وهو يدرس معهم التوراة... وانهم لم يزالوا يدرسون الى ان اختلفوا

«١» التفلين : تمائم تحتوي على عبارات معينة من التوراة تغلف بجلد ولها خيوط من جلد وتوضع على الجبهة وعلى اليد اليسرى اثناء الصلاة (صلاة الصبح).

«٢» القرقساني، الانوار والمراقب ٣٢/١.

«٣» كلمة عبرية تعني : مكان سرّي للإختفاء.

«٤» القرقساني، الانوار والمراقب ، ٣٣/١.

«٥» جمع عبري للكملة صديق التي تعني : « صالح » « تقي».

في قول الكتاب من سفر اللاويين ١٣/٤ « اذا كانت بقعة من البرص ايضا بيضاء في جسده». فقال اصحاب التلمود ان هذه البقعة طاهرة اما الاله فقال نجسة فلم يقبل منه اولئك الأنفس الذين حواليه. فارسل ملاكا ليأخذ نفس الربن (الحاخام) نحماي، اذ كان هذا الربن رجلا حكيما بليغا فلم يقدر الملاك على اخذ روحه لانه سمعه يدرس التلمود، فرجع الى الذي ارسله فاخبره الخبر. فقال له المرسل قف له مثل الكمين وحرّك الاشجار التي حوله بريح عاصف فاذا سكت خذ روحه ففعل ذلك. فصعدت نفسه وهي تقول طاهر طاهر تكذيبا للخالق جل ثناؤه ومعينة لاصحابه فقال الباري عز وجل قهروني.».[١٠]

وقالوا ايضا « لقد ذكروا في كتاب لهم اسمه « اتيوت عقيبا »[٢٠] أن الخالق تعالى يرقص بين يدي الصديقيم في الدعوة التي يدعوهم

«١٠» القرقساني، الانوار والمراقب ٣٥/١.

«٢٠» اتيوت عقيبا ومعناه « الفباء عقيبا ». وهو كتاب باطني يعزى الى الحبر اليهودي «عقيبا» الذي عاش في القرن الثاني الميلادي ولكنه ليس من تاليفه. ولهذا الكتاب نسخ مختلفة وهو يتضمن شروحا باطنية على الحروف الهجائية العبرية. لان اليهود الباطنيين يعتقدون بأن للحروف كينونة خاصة بهاولها قوة كامنة فيها، وقد فسرت اسماء هذه الحروف بطرق مختلفة. فكل حرف من حروف هذه الاسماء يشير الى كلمة وقد اخذت من هذه الكلمات تعاليم اخلاقية وحكم وامثال وغير ذلك. فمثلا ان الاسم «الف» يعني « امت لامد فيخا » وهي جملة تعني (علم فمك الصدق). فكلمة امت تعني (الصدق) ولامد تعني (علّم) و فيخا تعني (فمك). وامت اخذت من همزة الالف ولامد من لامها وفيخا من فائها. وكذلك لتركيب الحروف مع بعضها اهمية كبيرة خصوصا حروف الاسم يهوه . وفي هذا الكتاب ايضا قياسات لاحجام الملائكة وليهوه كذلك كما في شعور قوماه.

M. Waxmann A History of Jewish Literature, vol. 1, p.383 .

http://al-maktabeh.com

اليـهـا في الجنة ويقـول لـهم إني لـم اجيء اليكم الاّ لآكل واشـــرب معكم.»١٦«

وقبل ان ننهي هذا الفصل نوّد ان نذكر ما قاله الجاءون سعاديا الفيومي في رده على القرائيين حول الكتاب «شعور قوماه». فقد قال «انه من الممكن جداً ان يكون كتاب «شعور قوماه» كتاباً مزوراً على اليهودية، وحينئذ لاتتحمل مسؤوليته. وحتى لو كان هذا الكتاب صحيحاً وكتبه اتباع الحبر يشمعئل فيجب ان نفسر هذه القياسات على انها اشارة الى النور المخلوق الذي يعكس الجلال الالهي. »٢٠«

هذه بعض المسائل التي انتقد بها القراؤون التلموديين واتخذوها ادلة على رفضهم للتلمود. ويقول القرقساني ان هناك الكثير مما يمكن الحديث عنه. إذ قال في نهاية الفصل « وكم عسى يتهيأ للمحصي ان يحصى اقاويلهم من هذا الجنس فاقتصرت على ذكر هذا الطرف اليسير ليتبين كفرهم والحادهم وقحة من يدعي منهم انهم ناقلة وانهم حجة.»٢١«

«١» القرقساني، الانوار والمراقب ٣٢/١

«٢» المصدر السابق M. Waxmann, vol, 1, p. 384

«٣» االقرقساني، الانوار والمراقب ٣٤/١

الفصل الرابع

من تاريخ النشاط العلمي والادبي للفرقة

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

من تاريخ النشاط العلمي والادبي للفرقة

في القرن العاشر اصبحت فلسطين المركز الثقافي للقرائين، وكان قبل ذلك قد سكنها مجموعة من القرائين منهم من هاجر من وطنه هربا من مضايقة التلموديين وضغطهم عليهم ومنهم من جاء للدراسة فيها. وكان من هؤلاء اولاد عنان واحفاده.. وفي فلسطين بنى القراؤون في القرن التاسع للميلاد كنيسا خاصا بهم في القدس في القسم القديم منها، وقد بقيت آثاره حتى سنوات قليلة ماضية. والى جانب هذا الكنيس أسس القراؤون معهدا علميا لابناء فرقتهم. وكان قد هيّأ له وقام عليه في البداية دانيال بن موسى القومسي الذي مرّ ذكره. وكان القومسي قد دعا القرائين الى المجيء الى فلسطين والدراسة في هذا المعهد. وقد تطور هذا المعهد خلال سنوات قليلة واصبح يضم بين جنبيه في فترة من الفترات سبعين عالما من علماء القرائين.[١] وقد كتب اكثر هؤلاء باللغة العربية. فكان من الذين استقروا في القرن العاشر الميلادي في فلسطين وكانت لهم صلة بهذا المعهد ابو يعقوب يوسف بن نوح الذي رأس المعهد لفترة من الزمن واشتهر بتفسيره للعهد القديم وبكونه ناحياً عبرياً.[٢]

---

[١] L. Nemoy, Karaite Anthology, p.232 .

[٢] المصدر نفسه والصفحة نفسها.

وكان من اشهر لغوييهم واعرفهم داود بن ابراهيم الفاسي (من القرن العاشر الميلادي) الذي الف اول معجم – على مااعتقد – لمفردات العهد القديم. وقد كتب هذا المعجم باللغة العربية واسماه «جامع الالفاظ ». وهو مرتب على الاصول الثلاثية للكلمة مثل المعجمات اللغوية العربية. وكثيرا مايقارن المؤلف في معجمه العربية بالعبرية الى جانب ذكره بعض الفوائد النحوية. وقد اعتبر هذا المعجم المصدر اللغوي الرئيسي للقرائين. وقد اختصر عدة مرات [١] وطبع حديثا في جزئين كبيرين. وكان من مشاهيرهم في فلسطين أبو سعيد ليفي بن يافث بن علي البصري الذي يلقبه القراؤون "بالمعلم" وقد الف تفسيرا على التوراة وكتابا في الفرائض انتهى من تاليفه عام ٣٩٧هـ.[٢]

وكان ممن رأس المعهد وأشرف عليه ناحٍ معروف اسمه يهودا بن علّون الطبري (ت ١٠٣٢ م). وقد كتب كتابا في اللغة العبرية اسماه « مؤرعينايم » (نور العيون) [٣]. ومما نقل عنه نعرف انه يذكر في كتابه أوزان الاسم وانواعه والاشتقاقات وغيرها من المسائل الصرفية. وكان من علمائهم في النصف الاول من القرن الحادي عشر الميلادي نسي بن نوح الذي كان فقيها ومفسرا وكان كما عرف عنه يجيد عدة لغات منها العربية. ومن أشهر كتبه كتاب في شرح الوصايا العشر اعتبره القراؤون حجة في الفقه. [٤]

و تخرج من هذا المعهد ابو الفرج هارون المقدسي (هارون بن

«١» المصدر السابق M. Waxmann, vol 1,p. 406

«٢» المصدر السابق S. Poznanski, p. 42

«٣» المصدر السابق M. Waxmann, vol 1, p. 402

«٤» المصدر نفسه M. Waxmann, vol 1, pp. 406 - 407

http://al-maktabeh.com

يهودا) وقد كان تلميذاً ليوسف بن نوح. وكتب باللغة العربية تفسيرا على التوراة. وله اختصاص بالنحو ايضا ويسميه القراؤون «هامدقدق هايروشليمي» «النحوي المقدسي» ولم يبق من كتابات أبي الفرج هارون الاّ بعض النقول.[١]

وكان ممن درس في المعهد واشتهر ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم البصير الذي كان أعمى وكان تلميذا ليوسف بن نوح ويعتبر البصير من اشهر فلاسفة القرائين ومتكلميهم.

وكان هذا الرجل قد وقع تحت تأثير الكلام والفلسفة الاسلاميين يكتب كتابين مهمين احدهما كتاب «المحتوي» الذي وصلنا كاملا وسنتحدث عن محتوياته فيما بعد. والكتاب الآخر اسمه «كتاب التمييز» ولم تصلنا منه الاّ وريقات نعرف منها انه يناقش سعاديا ويناقش النهاوندي في خلق المَلَك الذي يقول عنه النهاوندي انه خلق العالم. وقال بان الله خلق العالم بلاواسطة وقد اعتبر من واجبه ان يناقش سعاديا ويرد عليه، ومما بقي منه نعرف بانه كان مناقشا هادئا. وكان البصير ايضا قد دعا الى التخلص من فكرة الركّوب في محارم الزواج[٢].

ومن تلامذة ابي يوسف البصير أبو الفرج فرقان بن اسد (يشوع بن يهودا) الذي عاش في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي في القدس. وكان من اعرف القرائين في عصره علما وفلسفة

---

١. M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol 1, p. 406

٢. S.Poznanski, Karaite Literary Opponents of Saadia Gaon p. 48
سنتحدث عن فكرة الركّوب هذه عند القرائين في فصل الاختلافات الفقهية من هذا الكتاب.

وفقها وهو من اوائل الذين عارضوا نظرية عنان في محارم الزواج كما عارضها استاذه البصير وقد اعتبرها عاملا في تقليص حجم الفرقة «١». وكان قد كتب تفسيرين على التوراة احدهما مبسوط والآخر مختصر وقال ابن الهيتي انه رأى نسخة من التفسير المختصر نسخت في ربيع الاول عام ٤٤٦ هـ. وتبين مما بقي من تفسيره انه يتسم بمسحة من الكلام والفلسفة «٢».

ويناقش أبو الفرج فرقان في كتبه سعاديا ويدافع عن مؤسس الفرقة عنان بن داود ويتهم سعاديا بالتشهير به والجناية عليه. فيقول مرة عنه « انه من شأنه ان يتعقب عنان رحمه الله ويسميه جاهلا وينسبه الى قلة العقل ويقول في مكان آخر «ثم حكى (أي سعاديا) مذهب عنان وسماه خارجيا واطنب في التنقص منه » «٣».

ولأبي الفرج هذا مكانة رفيعة بين القرائين حتى التلموديون جعلوه في منزلة عنان والنهاوندي. وكان من تلامذة ابي الفرج الذين درسوا في هذا المعهد طوبيا بن موسى ويعقوب بن سيمون من بيزنطة. ومن تلامذته المعروفين ايضا القرائي الاندلسي سيد أبو الطراس (أو ابن الطراس). وقد ذكر التلمودي ابراهام بن داود ان سيداً كتب كتاباً بإرشاد استاذه أبي الفرج فرقان يناقش فيه التلموديين ويدعو فيه اليهود الى فرقته. «٤»

«١» L. Nemoy, Karaite Anthology p. 123

«٢» المصدر نفسه L. Nemoy , p. 233

«٣» S. Poznanski, The Karaite Literary Opponents of Saadia Gaon, p.48

«٤» سفرها قبلاه (القسم العبري) ص ٦٩.

ولم يعمر هذا المعهد طويلا إذ كانت الحملة الصليبية الاولى على القدس عام ١٠٩٩م بقيادة غودفروي بيلون. وعندما سيطر جيشه على القدس كان القراؤون من جملة من قضي عليهم ونهبت ممتلكاتهم كما فعل بالمسلمين من ابناء البلد. ومنذئذ لم تقم للقرائين قائمة تذكر في فلسطين وظل عددهم في القرون اللاحقة قليلا جدا. وبعد الحملة الصليبية ترك فلسطين من سلم من القرائين وهاجروا الى مصر وغيرها من بلدان المسلمين وذهب البعض منهم الى بيزنطة.

في مصر:

تمتع القراؤون بالحرية في مصر في ظل الدولة الاسلامية، لذلك نشطوا بالدعوة الى فرقتهم فكان لهم شيء من النجاح والتاثير على التلموديين فتحول بعضهم الى فرقتهم.[١] وكذلك تمتعوا بوضع اقتصادي جيد فكانوا اوسع عيشاً واكثر ثراء وأوفر حظاً من التلموديين. وقد حظى الكثير منهم بوظائف كبيرة وكان من هؤلاء ابناء سهل التستري الذي أصبح احدهم وهو الحسن بن أبي سعيد بن سهل التستري وزيرا للمستنصر الفاطمي. وبرز كذلك منهم بعض الاطباء الذين نالوا شهرة في علوم الطب، منهم السديد ابو البيان بن المدور الذي كان طبيبا لصلاح الدين الايوبي ومنهم الموفق ابو البركات بن شعيا وابنه ابو الفخر سعيد الدولة.

ومنهم كذلك سديد الدين ابو الفضل داود بن ابي البيان الذي كان طبيبا للملك العادل الايوبي. وكان ابن ابي اصيبعة قد اشتغل معه فأثنى عليه ومدحه واطنب في مدحه واطرى علمه ومعرفته. وقد عدّه من مشهوري زمانه في معرفة الادوية وتراكيبها. وقد ذكر ايضا عددا

«١» دائرة المعارف اليهودية مادة Karaites

من المؤلفات الطبية لهؤلاء الاطباء «١».

وكان رئيس فرقة القرائين في مصر في القرن الثالث عشر ابو الفضل سلومون الملقب بالامير وكان صاحب تاثير على القرائين ليس في مصر حسب بل على من كان في الشرق منهم ايضا. وقد كتب كتابا اسمه « كتاب المحارم » وكتب كذلك كتابا في العقائد. وقد ذكر ابن الهيتي ان وفاته كانت عام ٦٠٠ هـ «٢».

وكان من الذين عاشوا في مصر واستقروا فيها (في الاسكندرية) في القرن الثالث عشر ابو الحسن يافث البرقماني. وقد كان يافث هذا طبيبا وكتب بالاضافة الى رسالة طبية كتابا عنوانه «سفر تشوباه » (كتاب الرد) وهو كتاب في الرد على التلموديين ونقد معتقداتهم. «٣»

وقد عاش في مصر كذلك شاعرهم المعروف موسى الدرعي (من مدينة درعا في المغرب)، وكان قد ولد في الاسكندرية ويعتقد بانه عاش في القرن الثاني عشر. وقد نظم هذا الشاعر كثيرا من المقطوعات الشعرية والقصائد باللغة العبرية. وقد جمعت أشعاره بعدئذ في ديوان. وكان الدرعي نشيطا في الدعوة الى فرقته وقد سافر كثيرا من اجل ذلك. «٤» ومن جملة نظمه مقطوعات في هجاء التلموديين والانتقاص منهم.

«١» انظر ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء ص ٥٧٩ – ٥٨٤.

«٢» المصدر السابق L. Nemoy, p. 233

«٣» M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol 1, p. 426

«٤» المصدر السابق L. Nemoy, p. 131

وهذه ترجمة واحدة منها.

حاشا لله ان انضم الى الاشرار وامشي في طريقهم

وحاشا له ان اسمع تخرصاتهم الكاذبة وسخرياتهم

او اقبل افتراءاتهم في كتبهم او اسمع أباطيلهم

أو أدرس فرائضهم من مشناتهم التي ابتدعوها بانفسهم

وسأرفض دائما أنها شريعة شفوية مقدسة

أمر بها اله الشعب على جبل سيناء ليعزز بها هذه الاباطيل الكاذبة

بل لا أؤمن الاّ بشريعة مكتوبة

أعطاها الاله الى شعبه وهي شريعة واحدة. «١»

وممن عاش في مصر منهم اشعيا بن عوزيا الكاهن في القرن الثالث عشر وقد اسموه «المعلم الفاضل». وقد الّف كتاباً في الادعية والصلوات وأصبح فيما بعد كتابا معتمداً من قبل القرائين. وقد الحق به بعض المسائل التي تتعلق بأحكام الصلاة واحكام الزواج والطلاق وغير ذلك.وقد بقيت قطعة من تفسيره العربي على بعض اجزاء سفر التثنية.

ومن مشاهيرهم الذين عاشوا في مصر في القرن الخامس عشر صموئيل بن موسى المغربي الذي كان من اصل مغربي، وقد سكن القاهرة وعاش فيها طبيبا. و انتهى المغربي من كتابه «المرشد » عام ١٤٣٤م وهو كتاب في احكام الفقه كتبه باللغة العربية. ويعتبر هذا

«١» المصدر نفسه L. Nemoy, p. 135

http://al-maktabeh.com

الكتاب من آخر الكتب المهمة في أحكام الفقه القرائي التي كتبت باللغة العربية وقد ترجم الى العبرية في القرن الثامن عشر.[١]

وممن عاصر صموئيل المغربي داود بن سعذل الهيتي (من مدينة هيت في العراق). وقد استقر في مصر وكتب كتابا واحدا مهما وهو معجم تراجم للقرائين وهي تراجم مختصرة. ويبدأ ابن الهيتي معجمه بترجمة مؤسس الفرقة عنان. وعلى الرغم من ان المعجم يعوزه الترتيب والتنظيم الاّ ان المعلومات التي يضمها نافعة جدا لدارسي فرقة القرائين[٢].

وقد بقي القراؤون في مصر الى العصر الحديث الى ان غادرها اكثرهم أو كلهم عام ١٩٥٧م.

في بيزنطة:

ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي أصبحت بيزنطة المركز الرئيسي للقرائين. وأقدم اشارة عن وجودهم هناك وردت في رسالة مؤرخة من عام ١٠٢٨م تتحدث عن سبعة يهود أسرى من بيزنطة أربعة منهم تلموديون وثلاثة قراؤون. وقد ذكر الرحالة اليهودي بنيامين التطيلي انه وجد في القسطنطينية عام ١١٦٥م حوالي الفي شخص من اليهود كان خمسمائة منهم من اليهود القرائين.

وفي القرن الحادي عشر ظهرت بوادر النشاط العلمي في بيزنطة، وذلك بظهور زعيم القرائين في هذا القرن طوبيا بن موسى، الذي كان قد ولد في بيزنطة عام ١٠٢٠م ورحل الى فلسطين للدراسة في المعهد

«١» المصدر نفسه L. Nemoy, p. 196

«٢» راجع عنه L. Nemoy p. 230

الذي ذكرناه انفا على يدي ابي الفرج فرقان (يشوع بن يهودا) كما ذكرنا. وقد لقبه القراؤون فيما بعد بـ هامعتيق (المترجم) لانه قد ترجم مجموعة من كتب القرائين المهمة من العربية الى العبرية ككتب ابي الفرج هارون و كتب ابي يوسف البصير وقد قام بهذا العمل عندما كان في فلسطين.[١] ومن مؤلفات طوبيا تفسير على التوراة اسماه «اوصار نحمد» (الكنز الثمين). وطوبيا في كتابه هذا يناقش التلموديين بصورة عامة وسعاديا الفيومي بصورة خاصة في المسائل الخلافية بين الفرقتين. ويعتبر نقاشه من افضل ماعرف في تراث القرائين حجة واسلوبا وهدوءا. وتوجد عدة مخطوطات من كتابه «اوصار نحمد»[٢] في الوقت الحاضر. ومن علمائهم في القرن الثاني عشر الميلادي هارون بن يهودا الكسديني الذي لم يصل من مؤلفاته شيء عدا فتاوى فقهية تتعلق بأحكام الزواج. وينتمي الى هذا القرن من علمائهم اليافو بن ابراهام الذي ترك لنا مؤلفا عنوانه «حلوق هاقرائيم وها رابنيم» (الاختلاف بين القرائين والتلموديين). ويدافع اليافو في هذا الكتاب دفاعا حارا عن القرائين مع ذكره للمسائل الخلافية. وهو يحاول تأصيل القرائين في اليهودية واعتبارهم اصحاب اليهودية الحقة. ويبرر مواقفهم وآراءهم ويضم الكتاب كذلك تراجم لعلماء الفرقة ابتداء بمؤسسها عنان بن داود حتى عصر المؤلف.[٣] وعرف منهم في هذا القرن يعقوب بن راوبين الذي كتب تفسيراً على العهد القديم كله وقد طبعت اجزاء متفرقه منه في السنين الاخيرة.[٤]

«١» J. Starr, The Jews in the Byzantium Empire, p. 231

«٢» Z. Ankory Karaites in Byzantium, p. 261

«٣» المصدر السابق M. Waxmann, vol. 1, p. 411

«٤» المصدر السابق J. Starr, p. 243

وعاش في القرن الثاني عشر في بيزنطة ايضا واحد من علماء القرائين المشهورين وهو يهودا بن الياهو هداسي الذي يعتبره القراؤون من أبرز علمائهم واعظمهم. وقد شُهر هداسي بكتابه الموسوعي «اشكول هاكفر». [١] وهذا الكتاب وإن كان اصلا عبارة عن شرح للوصايا العشر إلاّ انه يتجاوز هذا كثيرا، إذ يسترسل مؤلفه في الحديث عن موضوعات مختلفة تمتد من الفقه والتفسير الى الفلسفة والفلك وعلم الحيوان. وقد قسم المؤلف كتابه الى ٣٧٩ قسما. ويتميز الكتاب بميزة عن بقية المؤلفات القرائية في أن مؤلفه التزم فيه مالا يلزم كما التزم ابو العلاء في لزومياته. فقد التزم المؤلف ان يكون كتابه كله سجعا وان يكون مرتبا على الحروف الابجدية العبرية، إذ يبدأ كل فصل بحرف من حروف الهجاء. ففصل يبدأ بحرف الألف وآخر بالباء وثالث بالجيم وهكذا. ولما كانت فصول الكتاب واقسامه تزيد على عدد الحروف الهجائية فقد استعملها معكوسة الترتيب أي يبدأ بالحرف الأخير وهو التاء ثم الشين ثم الراء ثم القاف وهكذا. وهذه الطريقة تسمى تشرق (ت، ش، ر، ق) وهي الحروف الاربعة الاخيرة من الابجدية العبرية وهي معكوسة «قرشت». بالاضافة الى طرق اخرى لايسعنا الحديث عنها هنا.

ولهذا الكتاب عند القرائين أهمية كبيرة وذلك لمنزلة مؤلفه عندهم. وللكتاب قيمة تاريخية إذ أنه ينقل عن كتب الفها قراؤون سابقون ولكنها اختفت أو ضاعت وقد احتفظ لنا «اشكول هاكفر» بالكثير من نصوص هذه الكتب [٢].

«١» اخذ عنوان الكتاب من عبارة وردت في نشيد الاناشيد ١٤/١ وقد جاء فيها «اشكول هاكفر دودي لي» (حزمة حناء حبيبي لي).

«٢» M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol 1, p.p. 412.414

وممن اشتهر منهم في القرن الثالث عشر هارون بن يوسف (ت١٣٢٠ م) الذي يسمى هارون الأول أو الاكبر وكان قد ولد في شبه جزيرة القرم وتركها وهو صغير. وقد سافر كثيرا من أجل التعلم فأصبح ضليعا في المشناة والتلمود ودرس مؤلفات التلموديين المشهورين كذلك. وقد ذكر بان اطلاعه على أعمال التلموديين قد فاق اطلاع من سبقه من القرائين. وقد اشتهر هارون بن يوسف عالما في عدة حقول كالعقائد والفقه والتفسير واستقر أخيرا في القسطنطينة يمارس الطب ولذلك يسمى بالطبيب «هاروفي »[١]. ومن اشهر كتبه «سفر هامفحار» (كتاب المنتخبات).

وقد ضمن كتابه هذا كثيرا من مسائل الفلسفة فهو يتحدث عن خلق العالم ويقول بانه خلق بارادة الخالق ولكنه يميل الى الفكرة الافلاطونية بوجود مادة قبل الكون هي عبارة عن هيولي.

ويتحدث عن صفات الخالق ويقول بأنها جزء من ذاته وليست مفصولة عنه. وأما بالنسبة الى الملائكة فهو يرفض رأي القرائين والتلموديين معاً في ان لها اشكالاً معينة او أنها خلقت قبل العالم وان الله تشاور معها في خلق البشر كما فسرت عبارة سفر التكوين ٢٦/١ « لنخلق بشرا مثلنا ». وانما يرى بأنها عقول افاضها الخالق منه.

أما بالنسبة الى النبوة والانبياء فهو يرى بأن الوحي للانبياء إما أنه كان بتصوّر أو كان بحلم الاّ في حالة النبي موسى (ع) فانه قد رأى وقد سمع حقيقة. فهو قد رأى شيئا وقد سمع صوتا وكلاهما خلق خصيصا له.

---

[١] S. Bowman, The Jews of Byzantium, p. 140

وكتب هارون كتابا آخر أسماه «كلل يوفي» (الجمال الكامل) وهو كتاب في نحو العبرية.[١]. وقد نظم هارون بن يوسف مجموعة من الاشعار تدل على موهبته في قول الشعر وتمكنه من اللغة و معرفته بها. ولهارون هذا قدسية عند القرائين وأطلقوا عليه لقب هاقدش (الولي). وقد نظّم هارون ادعية القرائين وصلواتهم ورتبها وجعلها ذات مكانة عندهم وأهمية لديهم، وظل القراؤون يعتمدونها الى يومنا هذا[٢].

وممن عاش من علمائهم في بيزنطة في القرن الرابع عشر الميلادي هارون بن الياهو النيقوميادي (من نيقوميديا في آسيا الصغرى). ويسمى هارون الأصغر أو الثاني تمييزا له عن هارون الأكبر او الأول (هارون بن يوسف). وقد اصبح هارون زعيما للقرائين بعد وفاة هارون الاكبر ويعتبر واحدا من أنبه علماء القرائين ليس في تاريخ بيزنطة حسب، بل في تاريخ الفكر القرائي على العموم وذلك لمساهمته العلمية وإثرائه الفكر القرائي بثلاثة كتب اصبحت شهيرة لدى اليهود معروفة عندهم.

وهذه الكتب هي « عص حاييم» (شجرة الحياة) الذي كتبه ١٣٤٦م في فلسفة الدين وكتاب «جان عدن » (جنة عدن) كتبه عام ١٣٥٤ م وهو في الاحكام الشرعية والفقه. والثالث كتاب «كتر توراه » (تاج التوراة) الذي كتبه عام ١٣٦٢م وهو تفسير للتوراة وشرح عليها.

و (عص حاييم) كتاب في فلسفة الدين والعقائد. ويبدو هارون في هذا الكتاب متأثرا بمسائل علم الكلام عند المسلمين وعلى اطلاع

«١» المصدر نفسه S. Bowman, p. 141

«٢» Z. Ankory Kraraite in Byzantium, p. 236

http://dc.kitabeh.com

واسع على التراث الاسلامي بصورة عامة والفلسفة الاسلامية وعلم الكلام بوجه خاص. «١». ويعتبر كتاب «عص حاييم» آخر كتب القرائين في الفلسفة «٢».

وهو في منهجه وطريقته يشبه التلمودي موسى بن ميمون في كتابه «دلالة الحائرين». وكما كان ابن ميمون قد وضع اصول العقيدة اليهودية الثلاثة عشر، فان هارون قد وضع اصول العقيدة القرائية في هذا الكتاب واكملها بعد ذلك الياهو بتشياجي فاصبحت عشرة. وفي كتابه هذا يتحدث عن الخالق ويصفه بواجب الوجود ويتحدث عن وحدانيته وعن خلقه للعالم. وقد خصص هارون صفحات كثيرة لرفض التجسيم. كذلك تحدث عن صفات الخالق ويقول عن هذه الصفات بانها صفات ايجابية وليست سلبية كما يقول ابن ميمون الذي يرى ان معنى ان الله حكيم أي ليس بجاهل. ويرى المؤلف كذلك باننا لانعرف حقيقة هذه الصفات لانها جزء من ذاته. واختلف كذلك مع ابن ميمون الذي قال بأن العناية الالهية تشمل الانسان فقط وقال هارون بانها تشمل كل المخلوقات. «٣» وخصص في الكتاب فصولا طويلة عن مسألة الثواب والعقاب.

وكتابه «جان عدن» مقسم الى ٣٤ باباً وهذه الابواب مقسمة الى فصول تشمل جميع الفرائض والاحكام الفقهية. وهو من احسن ما كتب في الفقه القرائي. وهو يبدأ بالحديث عن التقويم السنوي ثم الاعياد والصلاة ويتحدث عن الاحكام الخاصة بالأفراد ثم الخاصة

«١» انظر L. Nemoy , Karaite Anthology, pp 170-171

«٢» المصدر السابق S. Bowman, p.142

«٣» المصدر السابق M. Waxmann, vol 2, p.435

بالعائلة ثم بالمجتمع. وقد تفرد هارون هذا بآراء اجتهادية خاصة به. من ذلك اشتراطه العدالة في الشاهد ورفض شهادة من لم يكن كذلك وهذا يذكرنا بالفقه الاسلامي. وهو كذلك لم يتردد في الرد على التلموديين ومناقشتهم وذكر منهم سعاديا وابن عزرا ورده يخلو من الهجوم الشخصي. وقد ظل كتاب «جان عدن » معتمداً عند القرائين الى وقت متأخر. ويعتبر «كتر توراه» مساهمة كبيرة في مجال التفسير عند القرائين ولايخلو تفسيره من مسائل فلسفية وفقهية بالإضافة الى توضيح معاني العبارات من خلال النحو واللغة. وفي المدخل لهذا التفسير يذكر مناهج المفسرين وطرقهم وكذك الاختلافات الاساسية بين طريقة تفسير القرائين والتلموديين. وقد كتب هارون هذه الكتب باللغة العبرية إلاّ ان تاثير العربية واضح فيها.

وبعد موت هارون بن الياهو تدهورت الحالة الفكرية للقرائين واتسمت بالجمود والركود ولم يبرز منهم علماء يقومون على تدريس الطلاب والعناية بهم. [١] ولكن بعد الفتح العثماني لأدرنه انشأ القراؤون مدرسة فيها أسسها مناحيم بتشياجي جدّ الياهو بتشياجي. وكان لهذه المدرسة دور مهم في الحياة الثقافية والفكرية للقرائين في بيزنطة. ومنذ عام ١٤٢٠م أخذت تجذب اليها عددا كبيرا من القرائين للدراسة فيها. وقد نقلت هذه المدرسة الى القسطنطينية بعد الفتح العثماني لها عام ١٤٥٣م إذ أصبحت هذه المدينة مركزاً للقرائين.وقد تخرج من هذه المدرسة علماء معروفون بينهم الياهو بتشياجي وكلب افندوبولو[٢].

«١» S. Bowman, The Jews of Byzantium, p.143

«٢» المصدر نفسه S. Bowman,145

ويعتبر الياهو بتشياجي أهم عالم قرائي ظهر في القرن الخامس عشر الميلادي ولم تقتصر شهرته على بيزنطة بل تعدتها الى انحاء أوربا. ولم تقتصر دراسة الياهو على المسائل الدينية بل درس ايضا علوما غير دينية وأصبح زعيما للقرائين منذ فتح القسطنطينية. وقد اشتهر بكتابه « ادرة الياهو» (بردة الياهو). وهو كتاب ضخم انفق في تأليفه مايقرب من ثلاثين سنة واشتغل به حتى وفاته عام ١٤٩٠ م ولكنه لم يتمه. والكتاب مقسم الى أربعة عشر فصلا وكل فصل مقسم الى عدة اقسام. وهو اساساً كتاب فقه ولكن مؤلفه يخرج في كثير من الاحيان عن الموضوع الاصلي الى موضوعات اخرى. فهو في حديثه عن الصلاة واحكامها يتطرق الى طبيعة الخالق وحقيقته ووجوب اجلاله وتوقيره ويتحدث هنا كذلك عن عقيدة القرائين ويكمل اصولها فتصبح عشرة «٢٠» لم يزد عليها بعد ذلك احد منهم.

وهذه الأصول هي :

١- أن الكون مخلوق

٢- خلقه خالق ازلي لم يخلق نفسه

٣- لايشبه شيئا ولايشبهه شيء

٤- أرسل النبي موسى «ع»

٥- وأرسل معه توراته

٦- والتي يجب على المؤمن ان يعرف لغتها وتفسيرها

٧- وأوحى الله الى أنبياء حق بعد موسى «ع»

«١» المصدر السابق S. Bowman, p.140

«٢» M. Waxmann, History of Jewish Literature vol, 2,p. 441

٨- وسيبعث الناس جميعا يوم الدين

٩- وكل انسان مسؤول عن عمله

١٠-وان الله لم ينس شعبه في الشتات وهم يعانون بسبب عقابه العادل لهم. وعليهم ان ينتظروا يوم الخلاص على يد المسيح المخلص سليل الملك داود. «١»

وقد كتب على الكتاب شروح كثيرة. ويعتبر مرجعا للفقه العملي عند القرائين في العصر الحاضر وقد طبع آخر مرة - كما أعتقد - في عام ١٩٦٦ م في مدينة الرملة في فلسطين «٢» حيث يكثر القراؤون هناك.ولالياهو مؤلفات اخرى في موضوعات مختلفة وكذلك نظم شعرا كثيرا وادخل بعضه في كتب أدعية القرائين وصلواتهم. وقد اطلق عليه القراؤون «صاحب الرأي الأخير ».«٣»

وبرز بعد وفاة الياهو صهره وتلميذه كلب افندوبولو وهو وإن كان قد ولد في أدرنه ولكنه كان اصلاً من بلغراد. وقد أضاف فصلين الى كتاب بتشياجي وكذلك أضاف بعض الفوائد على « اشكول هاكفر » وعلى « عص حاييم »، وكتب كذلك مؤلفات قائمة برأسها. منها كتاب «جان هاملك » (جنة الملك) وكتاب « سفر عسرة مؤموروت » (كتاب المقابسات العشر). والكتاب الأول يشمل موضوعات في الفيزياء والرياضيات. وكتب كذلك عدة رسائل في موضوعات دينية وله كذلك شرح كامل على سفر «نشيد الأناشيد »«٤».

«١» L. Nemoy, Karaite Anthology, p. 250

«٢» S. Bowman, The Jews of Byzantium, 354

«٣» L. Nemoy, Karaite Anthology, p. 237

«٤» المصدر السابق M. Waxmann, vol, 2, pp. 444 - 445

وكان موسى بتشياجي حفيد الياهو الذي عاش في القرن السادس عشر آخر عالم قرائي مهم في بيزنطة. وقد سافر موسى الى الشرق ثم الى مصر للبحث في مكتبات القرائين. وقد ضمت مؤلفاته نصوصا من كتابات القرائين الأوائل باللغة العربية كان قد اخذها من مخطوطات اطلع عليها اثناء رحلاته الى مصر وغيرها. وتعتبر هذه النصوص مهمة جدا في دراسة تطور عقائد الفرقة. إذ ان المخطوطات التي اخذ عنها قد اختفت. واشهر كتبه كتاب «متي الوهيم» (صولجان الاله). وهو كتاب يبحث في أسباب انشقاق الفرقة وتاريخها وطبيعة عقائدها ويذكر فيه كذلك السلسلة الصحيحة لمن حملوا روايات اليهودية وتقاليدها ابتداء من النبي موسى[٤] الى الأمير بوعز حفيد عنان وهذه السلسلة تختلف عن تلك التي لدى التلموديين.[١]

ولقد سجل تاريخ القرائين اسماء بعض علمائهم الذين عرفوا بعد موسى بتشياجي في القسطنطينية الاّ انهم اقل شهرة وشانا. وكان من هؤلاء يهودا جبور (ت ١٥٤٠ م) الذي الّف «منحة يهودا» «هدّية يهودا» ومؤلف فلسفي بعنوان «موعد قطن » (العيد الصغير). ومنهم ابنه الياهو الذي الّف كتابا في الفلك. ومنهم موسى زرودي الذي عاش في القرن السابع عشر واشتهر بتآليفه الكثيرة. منها كتاب في علم الفلك وآخر في الفرائض وثالث في التقويم. وكان من هؤلاء جوزف وموسى باجي (من القرن السابع عشر). وقد كتب كل منهما عدة مؤلفات واشتهر منها للأول كتاب عنوانه « مصوت موشه» (فرائض موسى) وكتاب عنوانه «قرية مئمنه » (قرية مؤمنة). وموضوع

---

[١] المصدر نفسه M. Waxmann, vol 2, p 445

الكتاب هذا هو الخلاف بين القرائين والتلموديين. [١] وقد ظل النشاط العلمي للفرقة في هذه المنطقة في تدهور الى ان انتهى تماما الى زوال. ولكن وجود القرائين لم ينته في هذه المنطقة واستمر بقاؤهم الى فترة متأخرة ويتبين هذا من الفرمانات التي كان يصدرها السلاطين العثمانيون حول وضع القرائين. فقد صدر فرمان في شعبان عام ١١٤١ هـ (١٧٢٨ م) يتعلق بطلب قدمه القراؤون لاعادة بناء كنيس خاص بهم في مدينة هسكوي. وصدر فرمان آخر في صفر عام ١٢٠٦ هـ (١٨٣١ م) يؤكد على اعتبارهم فرقة منفصلة عن اليهودية مستقلة عنها. [٢]

في بولندا وروسيا:

لقد تحولت زعامة الفرقة منذ القرن السابع عشر الى بولندا ثم الى روسيا. وليس معنى هذا ان هذه المنطقة لم تشهد وجودا للقرائين قبل هذا الوقت، إذ ان هناك ادلة تشير الى ان مجموعة من القرائين كانت قد سكنت هذه المنطقة منذ القرن الثاني عشر الميلادي على الاقل. فقد المحت بعض الوثائق الى النشاط الاجتماعي والديني للقرائين في هذه المنطقة (بولندا- روسيا). وذكر اليهودي بتهيا (من القرن الثاني عشر الميلادي) انه وجد في الربع الاخير من القرن الثاني عشر مجموعة كبيرة من القرائين في شبه جزيرة القرم وأقل منها من التلموديين. [٣] ويرى بعض الباحثين ان أول مجموعة من القرائين كانت قد جاءت من العراق الى القوقاز ونجحت في تحويل

---

[١] المصدر نفسه M. Waxmann, vol 2. p. 445

[٢] S. Bowman, The Jews of Byzantium, pp 330 -31

[٣] M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol 1., p442, vol 2, p 447

عدد من اليهود الى قرائين أيام حكم الخزر. ولقد كان القراؤون ايام التتار على علاقة طيبة معهم وكانت ظروف تطورهم مواتية فانشأوا مدارس خاصة بهم وأماكن لعبادتهم ولذلك أصبحت شبه جزيرة القرم أحد الاماكن القرائية الرئيسية في اوروبا. وكذلك كانت هناك علاقة بين شبه جزيرة القرم وبيزنطة منذ وقت مبكر. ومن شبه الجزيرة هذه انتشر القراؤون الى ليثوانيا وبولندا، وأن اول استقرار لهم في هاتين المنطقتين كان في القرن الرابع عشر عندما أغار الامير الليثواني «ويتولد» (١٣٥٠ -١٤٣٠م) على شبه الجزيرة وهزم التتار وجاء بمجموعة من الاسرى معه قدر عددهم بـ ٤٨٣ شخصا واسكنهم في مدينة تروكي ولوصك وهلش وبوسول. ومن هناك انتشر القراؤون الى المدن الاخرى في ليثوانيا وبولندا. وكانت مدن تروكي وفلنا ولوصك اكثر المدن التي سكنها القراؤون عددا ونشاطا.[١] ومن طريف ما يذكر هنا ان القرائين الذين نقلهم الامير «ويتولد» قد احتفظوا بلغتهم التي جاءوا بها معهم من موطنهم الاصلي. وهذه اللغة التي يتكلمونها هي من عائلة اللغة التركمانية الشمالية الغربية ويطلق عليها عائلة «الكبجاك». وتضم هذه اللغة مجموعة من المفردات العربية والمصطلحات الاسلامية التي ورثتها الفرقة من منطقة البحر الاسود في العصور الوسطى ومن هذه الكلمات djimat جماعة و niyet نية kenesa كنيس و djubbe جبه و watad سيّد / قوي و sabak صباح و din عقيدة و uma طائفة و hidj حج و korban قربان و berkat بركة و kafer نجس.[٢]

---

[١] المصدر السابق M.Waxmann, vol 2, pp. 447-48

[٢] A. Zajaczkowski, Karaism in Poland pp. 46ff

ولقد ظلت هذه المجموعة في هذه المنطقة تحتفظ بهذه المفردات الى اليوم وتحتفظ بعادات وتقاليد أثر بها عليهم التتار، ولذلك اصبح هؤلاء القراؤون يختلفون تماما عن اليهود التلموديين ولقد لاحظ ذلك الدارسون لهم والمهتمون بهم.

فعندما ارسل ملك السويد تشارلس الحادي عشر مستشرقا سويديا لدراسة فرقة القرائين في بولندا قال عنهم المستشرق من جملة ما قال عام ١٦٩١م « ان القرائين يختلفون عن التلموديين في التقاليد والعادات واللغة والدين بل حتى في مظهرهم ». ولقد اصبحت بعض المدن في شبه جزيرة القرم تضم يهودا فقط ومن هذه المدن جفوت قله (قلعة اليهود) وكان اكثر اليهود في هذه المدينة في القرون الاخيرة من القرائين.[١٠]

ولم يعدم القراؤون ظهور علماء ومؤلفين في هذه المنطقة وكان اهمهم واشهرهم في القرن السادس عشر اسحق بن ابراهام التروكي (ت ١٥٤م) الذي كان يجيد عدة لغات. وأهم اعماله كتاب عنوانه «حزوق أموناه» (تثبيت العقيدة) وهو دفاع عن اليهودية. والذي دعاه الى ذلك هو النقاش والجدل الديني الذي كان محتدما آنئذٍ بين الفرق والاديان. فلقد كانت بولندا في القرن السادس عشر مهجراً للمنشقين المسيحيين كالصوصنيين واللوثريين والاريانيين والرافضين للتثليث بصورة عامة ولقد شمل هذا النقاش اليهودية ايضا، ولذلك كتب التروكي كتابه. وقد قسم كتابه الى خمسين فصلا نصفه يدحض نقد المسيحيين لليهودية والنصف الآخر خصصه لنقد المسيحيه وكتبها. ولقد أثار هذا الكتاب حفيظة المسيحيين فكتبوا ردوداً ضده كان اهمها بقلم الماني اسمه يعقوب جوست.

«١٠» دائرة المعارف اليهودية مادة Crimea

وكان تلميذ التروكي جوزيف مريخاي مالينوسكي (ت ١٦٤٠ م). وقد الف عدة كتب احدها «سفر منهاجيم » (كتاب التقاليد). ولكن جوزف هذا اشتهر بقصيدته المعنونة «ها الف لخا» (الالف لك) وقد سماها كذلك لانها تحتوي على الف كلمة فيها هاء . وعنوان القصيدة مأخوذ من نشيد الاناشيد ١٢/٨ والذي جاء فيه «الالف لك ياسليمان ومئتان لنواطير الثمر». ومضمون القصيدة حديث عن أسرار الحياة والعقيدة وقد اشتهرت القصيدة بين القرائين والتلموديين على حد سواء. «١»

ومن مشاهيرهم في القرن السابع عشر مريخاي بن نيسان كوكيزوف الذي كتب رسالة عن فرقة القرائين بطلب من عالم هولندي عام ١٦٩٩م، وقد عنون الرسالة بـ « دود مريخاي » (صديق مريخاي). وكان قد عاصر مريخاي عالم آخر اسمه سلومون بن هارون تروكي الذي كتب بطلب من الحكومة السويدية كتابا عن اصل الفرقة ومعتقداتها. وله كتاب آخر عنوانه «لوحم شعريم » (حرب عند الابواب » وهو كتاب ضد التلموديين. وقد جعله على شكل حوار بين تلمودي وقرائي. وممن ظهر في هذا القرن ابراهام بن يشوع الذي درس في القدس وسكن مدينة « جفوت قلة »، وله كتاب معروف في الفلسفة الدينية اسمه « أموناه أمن » (العقيدة الحقة).

وكان من علمائهم في هذا القرن جوزف بن صموئيل هامشابر الذي كتب عدة كتب احدها في النحو. وكان هذا الرجل زعيما دينيا للقرائين وقد خلفه أبناؤه وأحفاده على ذلك في هذه المنطقة.

ويعتبر جوزف صموئيل رائدا للنهضة الروحية للقرائين في هذه

«١» M. Waxmann, A History of Jewish Literature, vol 2, p 451

المنطقة وكان له تأثير على شبه جزيرة القرم كلها ويعود له الفضل في ظهور مجموعة من الكتاب والمؤلفين في هذه الفترة ومابعدها.

وكان اشهرهم سمحا بن موسى لوصكي وقد استقر في مدينة جفوت قله عام ١٧٥٠م، وألّف كثيرا من الكتب والرسائل ولم يبق منها الاّ كتابان احدهما فلسفي عنوانه « أور هاحييم » (نور الاحياء) والثاني عنوانه « أورح صديقيم » (طريق الاتقياء). وفي هذا الكتاب الاخير شيء عن تاريخ الفرقة وعلمائها المعروفين وفيه دفاع ايضا عن موقفها وآرائها. وكان آخر زعيم لهم في هذه المنطقة بنيامين بن صموئيل آغا (ت ١٨٢٤ م). وكان معاصرا له اسحق بن سلومون من مدينة جفوت قله. وكان هذا الرجل قد وافق على إجراء إصلاحات على التقويم السنوي وكتب رسالة في هذا الموضوع عام ١٨٧٢ م وألّف رسالة ايضا في عقائد القرائين وكذلك نظم مجموعة من الاشعار الدينية.

وبعد الحرب العالمية الاولى بذل القراؤون جهودا من أجل الاعتراف بهم طائفة مستقلة وقد وافقت الحكومة البولندية عام ١٩٣٢م أن ينتخب القراؤون حاخاما خاصا بهم وزعيما رسميا لهم. وفي عام ١٩٣٦م اعترفت بهم الحكومة طائفة مستقلة ووافق مجلس الشعب البولندي على ذلك. وجاء في قرار الموافقة «إن الحاجة الى تنظيم كامل جديد للدين القرائي أصبحت ملحة جدا فالمجموعة الصغيرة من القرائين وعاداتهم المميزة وإخلاصهم لبولندا جعلت الدولة تنظر اليهم دائما بعين العطف والود». وقد اصبح للقرائين مجلس خاص بهم لايتدخل بشؤونه احد »[١].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية قدم القراؤون طلبا للدولة

[١] A. Zajaczkowski, Karaism in Poland, pp 70 -72 «

البولندية الجديدة للاعتراف بهم في ضوء الوضع الجغرافي والسياسي الجديد. وفي عام ١٩٤٧ م عقد المؤتمر الاول للقرائين في بولندا الذي انشأ مجلسا خاصا بالفرقة وانتخب لجنة عليا، لها مسؤوليات تختلف عما كانت عليه قبل الحرب الثانية، وقد وافقت الحكومة البولندية على ما أقره مؤتمر الفرقة. «١»

وفي نهاية القرن الثامن عشر احتلت روسيا شبه جزيرة القرم وقد فرقت الحكومة بين القرائين والتلموديين. ففي عام ١٧٩٥م أعفت الامبراطورة كاثرين القرائين من الضريبة وسمحت لهم بامتلاك الاراضي. وفي عام ١٨٢٧م اعفي القراؤون من الخدمة في الجيش من قبل القيصر نيقولا الاول ولم يشمل هذا القانون بقية اليهود. وفي عام ١٨٢٨م طبق هذا القانون على القرائين في ليثوانيا وبعض المقاطعات الاخرى. وقد شجعت هذه الخطوات القرائين على ان يطالبوا بالإعتراف بهم فرقة مستقلة ليس لها علاقة باليهود. وقدموا طلبا قالوا فيه "انهم أناس مجدون مجتهدون في اعمالهم وصادقون في معاملتهم ومخلصون لحكومتهم" وقد نجح القراؤون في اخراج التلموديين من مدينة تروكي على أساس قانون قديم يعطي حق السكن للقرائين فقط دون غيرهم من اليهود. وقد نجحوا ايضا مع الحكومة الروسية في تغيير اسمهم من « اليهود القراؤون» الى «القراؤون الروس اصحاب عقيدة العهد القديم » ثم اطلقوا على انفسهم اسم «القراؤون» فقط.

وفي عام ١٨٤٠م اعتبر القراؤون في روسيا طائفة مستقلة مفصولة

«١» المصدر نفسه A. Zajaczkowski p. 73

عن اليهود واصبح للقرائين مركزان احدهما في شبه جزيرة القرم والآخر في تروكي وكل منهما له رئيس يساعده حزان.

وكان من اشهر علمائهم على الاطلاق في العصر الحديث واكثرهم نشاطا واهتماما بالفرقة ابراهام فرقوفتش (١٧٨١ - ١٨٧٤م) الذي عاش وتوفي في روسيا.

وقد اصبح ظهوره علامة مميزة في تاريخ الفرقة الحديث وان الدراسات العلمية والتاريخية للفرقة مدينة له بالكثير. وقد سافر فرقوفتش الى كثير من بلدان العالم يتقفى المخطوطات القرائية، ويبحث عنها، فجمع منها شتاتاً كان خبيئاً أو مفقوداً واصبحت هذه المخطوطات فيما بعد جزءا من مكتبة بطرسبرج تحمل اسمه. وقد اتهم التلموديون فرقوفتش بانه زور الكثير من المخطوطات والآثار وادعى بانها اصيلة ولكن هذه التهمة ناقشها الكثير من الدارسين «١». وكان آخر من نعرف من المؤلفين القرائين في روسيا اسحق سيناني (ت١٩١٢ م) الذي ألّف كتابا في تاريخ الفرقة بجزئين باللغة الروسية وهو كتاب مطبوع.«٢»

مكتبة المهتدين

«١» المصدر نفسه A. Zajaczkowski, p 95

«٢» المصدر نفسه A. Zajaczkowski, p 97

الفصل الخامس

تأثير الثقافة الاسلامية على القرائين

تأثير الثقافة الاسلامية على القرائين

أرى من المناسب قبل الحديث عن تأثير الثقافة الاسلامية على القرائين أن أتحدث بشيء من الايجاز عن جوانب من هذا التأثير على بعض الفرق اليهودية الاخرى، تاركا الحديث بشكل مفصل الى مناسبة اخرى. وقبل ذلك أود أن أبدأ بالكلام عن تأثير الثقافة الاسلامية على نص التوراة كتاب اليهود الأول. فكما اهتم المسلمون بالقرآن الكريم وقاموا على العناية به لاهميته لديهم ومكانته عندهم، كذلك اهتم اليهود بنص التوراة واعتنوا به واجتهدوا لضبط نصه. ولقد قام العلماء المسلمون بمهمتهم في القرن الاول الهجري/ السابع الميلادي، إذ تضافرت جهودهم في وضع العلامات والنقط وضبط الكلمات والحروف ونطقها، الى غير ذلك من مسائل اخرى تتعلق بالنص القرآني. وما أن مرّ قرن أو اكثر قليلاً حتى رأينا عملية ضبط النص التوراتي تبدأ في بابل (في العراق) وفي طبرية (في فلسطين) في منتصف القرن الثامن على ايدي مجموعة من العلماء اطلق عليهم فيما بعد «الماسورانيون». [١]

(١) تعريب للجمع العبري « مسورانيم » الذي مفرده « مسوران » وهو من الجذر « مسر » والذي يعني « اوصل، نقل » .

وهناك اعتقاد بين علماء تاريخ النص التوراتي أن العمل الذي قام به اليهود كان تأثرا بما قام به المسلون واشهر من يرى هذا الرأي العالم اليهودي بول كاله.

فاليهود لم يكونوا بعيدين عما كان يجرى في العراق في مركزي اللغة العربية الكوفة والبصرة وما قاما به من نشاط فيما يتعلق بنص القرآن، ولم يكونوا في فلسطين كذلك بعيدين عن الاتصال بالمسلمين. فقد كان الكثير من هؤلاء يذهبون كل سنة الى مسجد الصخرة بالقدس في فلسطين الذي بناه عبد الملك بن مروان (ت٨٦هـ - ٧٠٥م) وغيرذلك من اسباب الذهاب لذلك ليس من الغريب - كما يقول بول كاله - ان يقوم الماسورانيون بمثل ما قام به العلماء المسلمون. فمما أخذوه في نطق الحروف ما يتعلق بنطق حروف الحلق وهو نطق لم يكن معروفا عند اليهود قبل ان يبدأ الماسورانيون عملهم.

فالمعتقد انهم اخذوا هذا النظام من نطق الهمزة في القرآن ولقد جعل الماسورانيون ذلك نموذجا يتبعونه في ضمان النطق الصحيح للحروف الحلقية، اذ أدخلت اصوات الحتف ومجموعة الفتح من قبل اليهود في طبرية والاصوات الثانوية من قبل اليهود في العراق.[١]

ومن القضايا التي تأثروا بها بالمسلمين في هذا المضمار، هو قضية وضع الحركات للضمائر المتصلة. فمن المعروف ان الضمائر المتصلة لم توجد عليها حركات في المخطوطات القديمة للعهد القديم، ولقد بدأنا نرى مثل هذه الحركات مع ظهور مخطوطات قام بتحريكها الماسورانيون في طبرية وبابل منذ نهاية القرن الثامن وخلال القرن التاسع الميلاديين.

---

[١] P. Kahle, The Cairo Geniza, pp. 94-95

ولقد رأى العلماء المهتمون بهذه المسألة ان ذلك كان بسبب التأثير الاجنبي واعتبر النموذج لذلك هو العربية الفصحى ومنها لغة القرآن. ولقد اتبع الماسورانيون الطريقة التي اتبعها العرب فهم وان لم يدخلوا علامات الاعراب الاّ انهم رأوا ادخال الأصوات الاخيرة إذ اعتبرت اكثر صحة وتميزا في القراءة مثل ما ادخلوا الصوت الاخير في ضمير المخاطب المفرد (تَ). «١٠»

ولقد تعدى هذا التأثير مجال نص التوراة وضبطه الى مجال الفكر والأدب عند بعض الفرق اليهودية.

ولم يقتصر ذلك على فرقة دون اخرى. ففرقة السامريين التي تعتبر اقدم فرقة يهودية لم تسلم من هذا التأثير ولقد دخلت هذه الفرقة افكار اسلامية أو ذات صبغة اسلامية لم يكن للسامريين عهد بها، وانما دخلتها بعد ظهور الاسلام وانتشاره. فهم مثلا بالنسبة الى طبيعة الخالق وصفاته أخذوا يستعملون ما استعمله المسلمون من مصطلحات كما انهم ايضا استعملوا مصطلح النسخ بمعناه المعروف.«٢٠»ومن ذلك ايضا انهم بدأوا يستعملون عبارة «بسم الله» في كتبهم في العصور الاسلامية.

وبالنسبة الى مفهوم النبوة فقد خضعت ايضا لذلك التأثير واستجدت عندهم مسائل تتعلق بهذه المسألة لم يعرفوها من قبل. فأخذوا يتحدثون عن خلق موسى «ع» قبل ان يُخلق الخلق وكذلك عن كونه خاتم الرسل. وتحدثوا ايضا عن مسألة الفرق بين الرسول

«١٠» المصدر نفسه. P. Kahle, p. 95

«٢٠» J.Macdonald, Samaritan Theology, p. 38

والنبي. فالنبي موسى عندهم هو وحده الرسول والبقية انبياء.»[١]

وكذلك استعاروا استعمال التصلية على الرسول واخذوا يستعملونها عند ذكر موسى (ع)»[٢]. وتحدثوا عن يوم القيامة وأسموه يوم الدين وتحدثوا عن الوقوف فيه وأسموه «معمد» (وقوف). وكذلك ناقشوا موضوع الشفاعة بشكل مفصل لايشك قارئه بأنه تأثر بالفكر الاسلامي.»[٣]

وتحدثوا عن «الكبور» (الغفران) ويومه كما تحدث المسلمون عن شهر رمضان بل استعملوا «شهر رمضان» وأطلقوه عليه.»[٤]

أما التلموديون وهم الكثرة الكاثرة من اليهود فإنَّ تأثرهم يتمثل في عدة جوانب، مثل علم الكلام واللغة والنحو والأدب. وليس من غرضي ان ادخل في تفصيلات هذا الموضوع، ولكني سأعطي مثالا واحدا على هذا التأثير وهو مثال أرجو أن يعطي فكرة للقاريء عما نريده. وهذا المثال هو الحاخام التلمودي سعاديا بن يوسف الفيومي الذي ذكرناه سابقاً. فهذا الرجل يعتبر رأس فلاسفتهم ومن أشهر علمائهم في العصر الاسلامي، بالاضافة الى أنه كتب في موضوعات مختلفة وعلوم متعددة. فقد تأثر سعاديا في اكثر كتبه بما كتبه العلماء المسلمون قبله والمعاصرون له.

فمن مؤلفاته معجم لغوي أطلق اليهود عليه فيما بعد «اجرون» (معجم). ولكن سعاديا كان عنونه هكذا «كتاب أصول الشعر

«١» S. Baron, Social and Religious History of the Jews, vol,5, p. 371.

«٢» J. MacDonald, Samaritan Theology, p. 284

«٣» المصدر نفسه. J, MacDonald, p. 338.

«٤» المصدر نفسه. J. MacDonald, p. 39.

العبراني» ووضع له مقدمة باللغة العربية. والمعجم مقسم الى قسمين وهو يقول في مقدمته عن هذين القسمين مانصه: «الاول كل اسم اوله الف بعضه الى بعض وكذلك كل اسم اوله باء والثاني جمع كل قافية على ألف الى ناحية وكذلك كل اسم آخره باء». [١] وهاتان الطريقتان اتبعهما العلماء المسلمون في تأليف المعجمات. فالمعجم اللغوي إما أن يبدأ الكلمة بالحرف الأول أو يتبع البدء بالحرف الأخير من الكلمة.

ومن مؤلفات سعاديا كتاب في غريب لغة التوراة عنوانه « تفسير السبعين لفظة الفريدة ». [٢] والمقصود بهذه الألفاظ هي الالفاظ الغريبة التي وردت في التوراة كما هو واضح من مضمون الكتاب ومفرداته. ونحن نعرف ان هناك اكثر من كتاب ألّف في موضوع غريب القرآن ألّفها علماء مسلمون عاشوا قبل سعاديا، منهم أبو عبيدة والاصمعي وابن سلام وابن قتيبة وثعلب.

ومن مؤلفاته كتاب في نحو اللغة العبرية اسماه «كتاب فصيح لغة العبرانيين». وهذا العنوان يذكرنا بكتاب مشهور في اللغة العربية كتبه عالم مسلم عاش قبل سعاديا بفترة وهو النحوي واللغوي المعروف أحمد بن يحيى المعروف بثعلب (ت ٢٩١ هـ). بل إن سعاديا في الواقع يشير في بداية هذا الكتاب الى تأثره بذلك إذ يقول :

«وكما يروون بنو اسماعيل(المسلمون) ان بعض خواصّهم رأى قومه لايفصحون الكلام العربي ففمّه ذلك، فوضع لهم كلاما مختصرا يستدلون به على الفصيح، كذلك رأيت كثيرا من بني اسرائيل

«١» انظر اطروحتنا للماجستير.

J. H. Hassan, Saadia Arabic Version of the Hebrew Text of Isaiah,chps. 40-55, p. 60

«٢» المصدر نفسه J. H. Hassan, p.6

لايبصرون فصيح لغتنا فكيف عويصه.»[١]

ومن المعروف ان كتاب «الفصيح» لثعلب صغير في حجمه مختصر في مادته كما يشير سعاديا الى ذلك.

ومن مؤلفاته كتاب في العقائد أسماه «الأمانات والاعتقادات» وهو باللغة العربية، وهي اللغة التي يستعملها سعاديا عادة في تأليف كتبه. وهذا الكتاب من أشهر كتب التلموديين في العقائد باللغة العربية. والمسائل التي يتطرق لها سعاديا هي المسائل نفسها التي ناقشها العلماء المسلمون قبله، مثل مسألة التوحيد والعدل وصفات الخالق وغيرها من مسائل كمسألة الثواب والعقاب والنبوة، إضافة الى نظرية اللطف الالهي وهي النظرية التي لم يكن لليهود عهد بها قبل أن يبدعها العلماء المسلمون ويتكلمون عنها. وهو يستعمل كذلك المصطلحات التي استعلمها العلماء المسلمون في هذه المسائل سوى انه يستشهد على مايقول بعبارات من التوراة. ولانريد ان نعيد هنا ماتحدثنا عنه في مكان آخر.»[٢]

أما بالنسبة الى تأثر القرائين بالثقافة الاسلامية فهي مسألة لاتحتاج الى كثير من الأدلة والبراهين وكان التلموديون لايفتأون يذكرونها ويكررونها كمنقصة للقرائين ومثلبة لهم. فهذا طوبيا بن اليعازر التلمودي (من القرن الثاني عشر الميلادي) يقول عنهم « ان هؤلاء الناس قد افسدوا كثيرا طريقة الحياة اليهودية الحقيقية، لانهم تلامذة المسلمين وهم متأثرون بروح مجنونة ضربت عقولهم »وقد تجاوز هذا التأثر، الفقه والفكر ووصل الى صميم العقيدة وكان نتيجة

«١» المصدر نفسه.J. H. Hassan, p.5

«٢» انظر المصدر نفسه. J. H. Hassan, pp. 101f

http://dar-alaktabeh.com

ذلك ان تحول مجموعات من القرائين الى مسلمين. وقد ذكر صموئيل بن يحيى وهو من اليهود الذين اسلموا في القرن الثاني عشر الميلادي، ان اكثر القرائين قد تركوا عقيدتهم وانضموا الى معسكر الاسلام.«١»

وقد يكون احد اسباب تأثر القرائين بالفكر الاسلامي ان فرقتهم كانت بحاجة الى قاعدة كلامية وفلسفية تعتمد عليها وتركن اليها في رد هجوم التلموديين ونقدهم لهم، فكان ان وجدوا مبتغاهم في الفكر الاسلامي ومدارسه. ولقد كان فهم هؤلاء القرائين لهذه البحوث وادراكهم لها قد مكنهم ليس في الدفاع عن فرقتهم بل اصبح ذلك سلاحا قويا لهم في نقض آراء التلموديين وتفنيد حججهم ورد اتهاماتهم. أما بالنسبة الى اصول الفقه فسيرى القارىء ان هذه الأصول هي أصول فقه المذاهب الاسلامية. وقد يعزي سبب ذلك الى ان القرائين بعد رفضهم للتلمود اعتمدوا كليا على العهد القديم في استنباط الاحكام الشرعية، ولما كان ذلك غير كاف لاستيعاب المسائل المتشعبة في الفقة بحثوا عن أصول اخرى بجانب الكتاب (التوراة). فوجدوا ضالتهم في اصول الفقه الاسلامي فاعتمدوا عليها واستعانوا بها. وسنذكر اصول الفقة القرائي ضمن هذا الفصل ولكن قبل ذلك أود ان اضرب بعض الامثلة على تأثر القرائين بمدارس الفكر الاسلامي.

والمثل الأول الذي اخترته لذلك هو أبو يوسف يعقوب القرقساني الذي مرّ ذكره في عداد من ردوا على سعاديا الفيومي. وسنذكر هنا

«١» Z. Ankory, Karaites in Byzantium, p. 364.

«٢» S. Baron, Social and Religous History of the Jews, vol. 5, p. 285.

بعض المسائل من كتابه «الانوار والمراقب» وهو أشهر كتبه وأفضلها على الاطلاق. وهو كتاب مليء بالنقاش والاحتجاج يضم من المسائل الكلامية جليلها ودقيقها. وهو يقول في بعض مقدمته «فهذا الذي ذكرته هو الذي حركني على جمع هذا الكتاب وتأليفه، اريد ان احكي فيه جملا من أقاويل العلماء واحتجاجاتهم. بعضه مدوّن في كتب من تقدم وبعضه مما جرى في المجالس التي حضرتها وما انتهى اليّ مما لم احضره، واصحح من ذلك ماصح عندي بالمسألة والجواب وافسد منه ما رأيت انه فاسد. وما كان الكلام عندي فيه متكافيا اوقفته على تكافيه فلعل غيري ممن ينظر فيه يظهر له فوق ما ظهر لي واجتهد ان يكون متوسطا بين الاطناب والاختصار لايجل عن عالم ولايدق عن متعلم وبالخالق تعالى جدّه على ذلك وعلى كل خير استعين واليه ارغب فيما رغب اليه فيه عبده ووليه داود عليه السلام». [١]

فمن المسائل التي ناقشها كما ناقشها المسلمون مسألة كون الله جسم أو ليس بجسم، ومسألة نفي التشبيه عنه ومسألة رؤية الله بالابصار وعدمها، ومسألة صفاته من حياة وقدرة وعلم وغيرها من المسائل الاخرى، والتي يبدو فيها متاثرا بالفكر المعتزلي اكثر من أي شيء آخر. ولنأخذ على ذلك موضوعين وهما موضوع الافعال والصفات التي توهم التشبيه والتجسيم والتي وردت في التوراة والثاني موضوع كلام الله.

أما بالنسبة الى الموضوع الأول فهو يرى ان كل ماورد في التوراة مما يوحي بالتشبيه والتجسيم بالنسبة الى الخالق يجب ان يؤول.

فهو يقول «فأما جميع ماوصف به (الله) من الورود والخروج

---

[١] الانوار والمراقب، المقدمة

والخطو والركوب، فان ذلك كله راجع الى القدرة والسكينة والانوار والمواكب السمائية التي هي جيوش الملائكة. وذلك انه لو كان ذلك خروجا على الحقيقة وجوازا وخطوا وورودا حقيقيا لوجب ان تكون الذات حالّه في مكان دون مكان إذ كان الخروج انما هو مفارقة مكان وحلول في مكان غيره والكتاب اخبر انه حال في كل مكان ». [١]

وهو كذلك يؤول معنى الجوارح الانسانية التي ورد ذكرها في التوراة مشيرة الى الخالق، ولايرضى القرقساني بها اذا اعطيت معناها الحرفي. فهو يقول في هذا الخصوص «ان الله خاطب الناس من حيث تبلغه عقولهم على ماطبعوا وركّبوا. وذلك ان الباري عز وجل لما أراد ان يعرف عباده ان الاشياء المرئية لاتخفى عنه، وكان في جاري عادتهم وماطبعوا عليه ان كل امريء انما يدرك بحاسة البصر وصفه اولياؤه بالعين، لا أن هناك جارحة هي عين. وكذلك لما كان المسموع فيما بينهم، فانما يدركونه بالاذن التي هي حاسة السمع، وصفوه بالأذن إذ كانت المسموعات لاتخفى عليه، ووصفوه بالفم والشفتين لان الكلام في المشاهد كذلك يكون. والباريء مكلم مخاطب لبعض خلقه فلذلك وصفوه بآلات الكلام ووصف بالقلب لانه حكيم، إذ كانت الحكمة في المشاهد محلها في القلب. والذي يوهم ان هناك ظهرا فان ذلك اطلاق اللغة كما يقول اطرح هذا الامر وراء ظهرك أي لا تلتفت اليه ولا تعبأ به. وغير ذلك كثير لايحصى وكذلك الاصبع أي قدرة الله، هي واليمين تدل على العزّ والقوة والسلطنة. ووصفه بالرجل يعني به انه هو قاهر وان كل شيء دونه وتحته، إذ كان كل مقهور فانه نسب الى انه تحت الرِجل والقدم. ووصفه بالامعاء يراد به انه لطيف رقيق، وبالقيام يعني انه ناصر غير غافل، وبالجلوس انه ثابت دائم،

---

[١] المصدر نفسه ١/١٧٤

وبالغضب انه معاقب منتقم. والحقد يراد انه وان أخر العقوبة فلابد من حلها وان طالت المدة. وبالرضا انه مثيب على الطاعة. والفرح يراد أن المكتسب للعمل المرتضي قد صار في اجلّ محل إذ كان كل مفرح به قد بلغ الإرادة ».[١]»

وهذا هو ايضا مايقوله المعتزلة ومن يرى رأيهم فهم «قد اتفقوا على نفي رؤية الله تعالى بالابصار في دار القرار، ونفي التشبيه من كل وجه، جهة ومكانا وصورة وتحيّزا وانتقالا وزوالا وتغيّرا وتاثرا، وأوجبوا تأويل الآيات المتشابهة فيها ».[٢]»

فقد قالوا في قوله تعالى « الرحمن على العرش استوى»، ان الاستواء هنا بمعنى الاستيلاء والغلبة. ويمكن كذلك ان يكون العرش هنا بمعنى المُلك، إذ يقال ثلّ عرش بني فلان أي زال ملكهم. وقالوا في قوله تعالى «ولتصنع على عيني»، ان المراد لتقع الصنعة على علمي اذ العين ترد بمعنى العلم ويقال جرى هذا بعيني اي بعلمي.

واوّلوا قوله تعالى «كل شيء هالك الاّ وجهه »إن معناه كل شيء هالك الاّ ذاته. والوجه بهذا المعنى معروف مشهور في اللغة فيقال وجه هذا الثوب جيد اي ذاته.

وفسروا «اليدين » في قوله تعالى «لما خلقت بيديّ استكبرت » بمعنى القوة ونلك مستعمل ايضا في اللغة فيقال مالي على هذا الأمر يد أي قوة.

وذهبوا الى أن «يداه » في قوله تعالى « بل يداه مبسوطتان » معناه «النعمة» وهو كذلك مستعمل كثيرا في اللغة.

«١» المصدر نفسه، ١/١٧٢ -١٧٣

«٢».الشهرستاني.، الملل والنحل.١/٥٥

اماكلمة «جنب في قوله تعالى » ياحسرتا على مافرطت في جنب الله » ففسروها على معنى الطاعة. وذلك مشهور في اللغة، يقال اكتسبت هذه الحال في جنب فلان أي في طاعته وخدمته. وقالوا كذلك ان معنى «يمين » في قوله تعالى« والسموات مطويات بيمينه» هو «القوة» وهذا ظاهر كذلك في اللغة. اما قوله تعالى «وجاء ربك » فقد قالوا فيه ان هناك مضافا محذوفا كما حذف في قوله تعالى «واسأل القرية » أى « اهل القرية »[١].

ومن المسائل الاخرى مسألة كلام الله التي احتدم حولها جدل كثير ودار فيها نقاش طويل، وقد انصب النقاش والجدل بين الفرق الاسلامية حول ما اذا كان كلام الله مخلوقا أو أنه قديم. وقد تفرع عن هذا مسألة خلق القرآن أو قدمه باعتباره كلام الله كذلك، وهل ان الكلام في ا لقرآن خلق أيام الايحاء به الى الرسول محمد (ص) أو انه قديم قدم الخالق أو أنه لا هذا وذاك. وهذه المسألة كانت قد اخذت كثيرا من جهد العلماء ووقتهم. ولقد حاق ببعض الناس والعلماء ظلم ما كان يجب ان يحيق بهم واصابهم حيف ما كان يجب ان يصيبهم،وما كان يجوز ان يعطى لهذه المسألة من الاهمية ما اعطى لها لانها لا تمت بسبب كبير الى صفاء العقيدة وخلوصها. وكانت اثارتها بين الناس قد ادخلتهم في مداخل كانوا في غنى عن الدخول فيها. فقد وسعت هذه شقة الخلاف بين الفرق الاسلامية وزادتها عمقا وكانت الفرقة من هذه تستنزف طاقتها وتبذل جهدها بحثا عن الادلة وتتبعا للبراهين، لتثبت انها على حق وان ماتراه صواب. وكان الحري بتلك الطاقات والجهود ان تبذل فيما ينفع الامة ويفيدها.

«١»،عبد الرحمن بدوي.، مذاهب الاسلاميين. ١/٤١٥ - ٤١٦

وفي أيام القرقساني كانت هذه المسألة مازالت حيّة يتناقش فيها الناس ويتجادلون، فدخل حلقة النقاش هذه وادلى بدلوه مع المدلين تاثرا بالعلماء المسلمين واقتفاء لأثرهم إذ لم يكن لليهود عهد بهذه المسألة، فقد كان العلماء المسلمون هم الذين بدأوها وانشأوها أول مرة. وسنذكر هنا شيئا مما ذكره القرقساني مما يتعلق بهذه المسألة تاركين الكثير من مسائلها وموضوعاتها. فهو يعلق على ما جاء في موضوع تكليم موسى في سفر العدد ١٢/٧-٨ «اذا كان منكم نبي للرب فبالرؤيا استعلن له وفي الحلم اكلمه واما عبدي موسى فليس هكذا بل هو امين في كل بيتي فماً الى فم وعيانا اتكلم معه لا بالألغاز».

ويقول «ففضل الله جل وعز موسى [٤] وخصه من الخطاب بما لم يخص به غيره من سائر الانبياء، وهو أنه اخترع له كلاما أقامه في شيء من الاشياء، إما هواء وإما ناراً أو غير ذلك فأسمى نفسه بذلك متكلّما لموسى.كما يكلم الانسان صاحبه من فمه حتى يجعله في فمه، وكما يواجهه بالكلام شفاها بغير واسطة.....(فقال) وإني اخاطبه فما الى فم وذلك باختراع الكلام بلا واسطة ».[١٠]

ومن هذا الشرح نعرف ان القرقساني يقول بخلق كلام الله اي أن كلامه مخلوق وليس قديما. وعلى هذا فتكون التوراة في رأيه مخلوقة وليست قديمة وهو يستمر في الحديث عن هذا الموضوع فيقول «فلعل من يقول بقدم الكلام يتعرض في هذا القول فيقول إذا زعمتم ان الله جلّ وعزّ يحدث كلاما في غيره فيكون به متكلما لم لايجوز ان يحدث حركة ولونا وموتا في غيره فيكون متحركا ملّونا ميّتاً » . [١٠]

«١» الانوار والمراقب ١٧٧/١

ويدخل القرقساني في الجواب على هذا في مسائل فلسفية وكلامية عويصة يتطرق فيها الى الفرق بين الفعل والحلول، وكيف ان الموت واللون والحركة حلول وان مخاطبته والكلام والأمر والنهي فعل وهناك فرق كبير بين الاثنين.

والرأي بأن كلام الله مخلوق وكذلك القرآن اخذت به المعتزلة وفرق اسلامية اخرى«٢».

أما المثل الثاني الذي اخترته لموضوع هذا التأثر فهو ابو يعقوب يوسف البصير الذي مرّ ذكره الذي يعد من أبرز متكلمي القرائين ومتفلسفيهم ولقد تأثر هذا الرجل كثيرا بكتابات المتكلمين المسلمين وفلاسفتهم. ولم اكن اعرف مقدار هذا التأثير عليه الاّ بعد ان عثرت على كتابه «المحتوي» وهو كتاب قد كتب بلغة عربية وحروف عبرية.

ويعد الكتاب ذا قيمة واهمية كبيرة لما ذكره فيه من مسائل فلسفية وكلامية كان يدور الجدل حولها في عصر المؤلف. ويعطينا الكتاب كذلك فكرة عن مدى تفاعل اتباع الاديان الاخرى مع الثقافة الاسلامية وتأثرهم بها وهضمهم لها.

ومنذ الفصول الاولى يحصل لدى القارىء انطباع عن مدى فهم المؤلف لمسائل علم الكلام وتعمقه فيها وإدراكه لها. ولكن الذي يؤسف له أنّ الباحث العربي قد حرم من قراءة الكتاب والاستفادة منه بسبب كتابة اللغة العربية بحروف عبرية. ولا ادري لماذا لم يحاول محقق الكتاب الذي طبعه عام ١٩٨٥ أن يحول حروفه العبرية الى عربية -والتي اعتقد بأنها الاصلية التي كتب بها مؤلف الكتاب كتابه- من

«١» المصدر نفسه. ٧٧/١

«٢» عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين.١٦٤/١ ومابعدها

اجل ان يستفيد منه اكبر عدد من العلماء والباحثين. وإن ابقاءه على هذا الشكل يقلّل كثيرا من المستفيدين منه والقارئين له. فكم هو عدد الذين يقرأون العربية بحروف عبرية في هذا العصر بالمقارنة مع من يقرأون العربية بحروفها؟

ولكي اعطي القاريء فكرة موجزة عن هذا التأثر أود ان اذكر شيئا من موضوعات الكتاب وشيئا من مضمونه. فمن موضوعات الكتاب الابواب التالية :

باب في الصفات

باب في كونه تعالى عالما

باب في كونه تعالى قديما

باب في نفي الرؤية عنه تعالى

باب في كونه تعالى واحدا لا ثاني له

باب في الإرادة

باب في انه سبحانه لايفعل القبيح

باب في احكام القدر

باب في اثبات القدرة

باب في خلق أفعال العباد

باب في معنى اللطف

معني الاصلح

باب في الدلالة على استحقاق العقاب

وفيما يلي بعض المسائل الكلامية التي يبدو التأثير بالثقافة الاسلامية عليها واضحاً.

فأحد هذه الموضوعات التي عالجها المتكلمون وخاصة ابو علي الجبائي وابنه ابو هاشم موضوع ما اطلق عليه الموازنة في حساب العقوبات، أي اجراء حساب العقاب والثواب، بحيث يسقط من العقاب بمقدار ما يستحقه العبد من الثواب. فمثلا إذ اتى المكلف بطاعة يستحق عليها ١٠ أجزاء من الثواب وبمعصية يستحق عليها ٢٠ جزءا من العقاب فان من رأي ابي علي انه يحسن من الله الاّ يسقط ١٠ اجزاء من الثواب من الـ ٢٠ جزءامن العقاب ويبقي فقط على ١٠ أجزاء من العقاب. أما رأي ابنه ابي هاشم فهو أنه يقبح منه تعالى ذلك ولايحسن منه أن يفعل به من العقاب الاّ عشرة اجزاء. فاما العشرة الاولى فانها تسقط بالثواب الذي استحقه على ماأتى به من الطاعة.«١»

وقد عالج البصير هذه المسألة في كتابه تحت فصل عنونه" باب الموازنة وما يحصل بذلك من دوام العقاب وماجرى مجراه من الذم والمدح المستحقين بشرط وبغير شرط ومايتصل بذلك". وهو يقول في ثنايا هذا الفصل من جملة مايقوله الآتي: « واذا استحال ان يكون المثاب مثابا معاقبا، وثبت ان المعصية لقبحها اقتضت العقاب فالجامع بين طاعة ومعصية لابد من استحقاقها الثواب بطاعته والعقاب بمعصيته. والثواب والعقاب يستحيل اجتماعهما لأمر يرجع الى الدواعي والصوارف، وانه لايجوز ان نعظم زيدا وان نسخفه لمكان احسانه واساءته، بل ما دعا الى احدهما صرف عن الآخر. فيجب اما

«١» عبد الرحمن بدوي، المصدر نفسه.١/٣٧١ -٣٧٢

تساوي المستحقين من الثواب والعقاب بما فعل من الطاعة والمعصية فيسقطان، واماأن يكون احدهما أوفر فيكون الحكم وفي ذلك صحت الموازنة. الاّ ترى انه اذا استحق بطاعته عشرة اجزاء من الثواب وبمعصيته خمسين جزءا من العقاب فالحكم للمعصية، وقد حصلت طاعة صغيرة ثوابها يغرق فيجنب عقاب معصيته إذ رتب من عقابه عشرة اجزاء بازاء العشرة أجزاء التي استحقها من الثواب بطاعته. وقد حصل عليها فاضلا اربعين جزءا فهو إذن من أهل العقاب وكذلك الكلام بالعكس.»[١٠]

وكما نرى فانّ هذا يتفق هنا مع رأي أبي هاشم في هذه المسألة. وللبصير معرفة بآراء ابي هاشم وابيه أبي علي واطلاع عليها لانه يذكرهما بالاسم بين الحين والآخر.

وثاني هذه الموضوعات الذي نود ان نذكره هنا هو مسألة ان الله تعالى واحد لا ثاني له. فمن رأي المتكلمين انه لو كان مع الله قديم ثان لوجب ان يكون مثلا له لان القدم صفة من صفات النفس (الذات). والاشتراك فيها يوجب التماثل والاشتراك في سائر صفات النفس (الذات)، واذا كان كذلك والقديم تعالى قادر لذاته وجب ان يكون الثاني قادرا لذاته، فيجب صحة وقوع التمانع بينهما لان من حق القادر على الشيء ان يكون قادرا على جنس ضده اذا كان له ضد. ومن حقه ايضا ان يحصل مقدوره اذا حصل داعيه اليه ولا منع وذلك يوجب ماذكرناه.واذا ثبت هذا فلو قدر وقوع التمانع بينهما بان يريد احدهما تحريك جسم والآخر يريد تسكينه لكان لا يخلو إما أن يحصل مرادهما وذلك يؤدي الى اجتماع الضدين أو لا يحصل مرادهما، وذلك يقدح في كون الواحد الذي يثبت بالدلالة قادرا لذاته

«١٠» المحتوي ص ٧٦١

او يحصل مراد احدهما دون الآخر فمن حصل مراده فهو الاله و من لم يحصل مراده فهو الممنوع»[١].

ويعالج البصير المسألة نفسها تحت عنوان « باب في كونه تعالى واحدا لا ثاني له » فيقول من جملة مايقوله في هذا الفصل:

«و الذي يدل على نفي قديم معه تعالى هو انه لو كان معه قديم لوجب ان يكون قادرا لمشاركته اياه في اخص اوصافه من وجوب وجوده فيما لم يزل، وهذه الصفة قد بينا من قبل انها مقتضى صفة ذاته، وان حكمها حكم كونه قادرا عالما حيا. فما شاركه فيها فواجب ان يشاركه في صفة ذاته وواجب ان تقتضي فيه ماقتضاه في الآخر من وجوب كونه قادراعالما حيا. فيجب ان يكون كل واحد منهما قادرا على مالا نهاية له لاستحالة كون احدهما قادرا بقدرة مع كون الآخر قادرا لما هو عليه في ذاته.

وقد علمنا في الشاهد ان القادرين من حيث كانا قادرين وجب فيهما صحة التمانع، لان حقيقة ذلك يعود الى ان احدهما يقدر على ضد مايقدر عليه الآخر. فاذا صحت الممانعة بينهما صح تقدير وقوعها وان لم تقع وذلك يؤدي الى ضعفها او ضعف احدهما بان يريد احدهما تحريك جسم والآخر تسكينه فوقوع ما أراداه يستحيل لتضاده. وليس بعد ذلك الاّ احد وجهين إما ان يمتنع الفعل عليهما أو يمتنع على احدهما ولا ثالث وامتناعه عليهما يقتضي ضعفهما ووقوع مراد أحدهما يقتضي ضعف من لم يقع مراده.» [٢].

ومن المسائل التي تطرق لها في كتابه مسألة اللطف الالهي. وهذه

---

[١] عبد الرحمن بدوي، مقالات الاسلاميين ص ٤٢٤

[٢] المحتوي ص ٦٨٢

المسألة – كما ذكرت – من المسائل التي ابتكرها المتكلمون المسلمون ومتفلسفيهم. واللطف عند المتكلمين هو ان يختار المرء الواجب ويتجنب القبيح أو أن يكون ماعنده أقرب، إما الى اختيار الواجب او ترك القبيح، ويسمى ايضا توفيقا وربما يسمى عصمة وقد يسمى هداية. ويكون اما من فعل الله أو من فعل العبد والأخير يشمل فعلنا وفعل غيرنا «١». وقد تفرعت مسائل اخرى عن هذه ومنها هل ان اللطف واجب على الله أو غير واجب ؟ وهل أن اللطف من سائر أجناس المقدورات أو أنه ليس كذلك الى غير ذلك من مسائل شغلت حيزا من مؤلفات الكلاميين.

وقد عالج البصير هذه المسألة بإسهاب تحت فصل عنونه بـ « في معنى اللطف وفي الدلالة على وجوبه والفرق بينه وبين الاصلح وما معنى الاصلح ».

وهو في هذا الفصل يذكر كل المسائل المتعلقة باللطف ويذكر اراء ابي علي الجبائي وابنه ابي هاشم ويختار بعضها، ويذكر كما ذكر الآخرون بأنه يسمى احيانا توفيقا وكذلك عصمة «٢». ولانريد ان نسترسل في هذا الموضوع الذي قد يسبب سأما للقارىء وماذكرناه قد يعطي صورة لما اردنا التدليل عليه.

«١» عبد الرحمن بدوي، مذاهب الاسلاميين ص ٢٩٣ –٢٩٤

«٢» المحتوي ص.٧٤٨ –٧٥٠

أصول الفقه عند القرائين

لقد ذكرت فيما سبق ان القرائين اعتمدوا في فقههم الاصول التي اعتمدها العلماء المسلمون في اصول الفقه.

وهذه الأصول هي :

الكتاب (التوراة) والرواية (النقل) والاجتهاد والقياس والاجماع. وأرى من المفيد ان أتحدث باختصار عن كل واحد من هذه الاصول.

الكتاب : يقصد بالكتاب عند القرائين العهد القديم كله وليس التوراة بالمعنى الخاص (اي الكتب الخمسة الاولى)، بينما يعتبر التلموديون الكتاب «التوراة» بمعناها الخاص. والكتاب بالنسبة الى القرائين هو المصدر الأول والأهم الذي يرجعون اليه لمعرفة الحكم الشرعي في مسألة من مسائل الفقه.

ولأهمية الكتاب وقدسيته عندهم أوجب علماؤهم على القرائي ان يعرف لغة الكتاب ويفهمها. وكذلك أوجبوا عليه أن يفهم تفسيره كما مرَّ في موضوع أصول عقيدتهم. وقد اولى القراؤون نص العهد القديم عناية خاصة تمثلت اكثر ما تمثلت في ضبط رسمه وتنبيره وتقسيمه الى فصول وعبارات ومقاطع، وتعيين الكلمات التي فيها «كتيب » و «قرى»، ولذلك كان للقرائين يدٌ طولى في ضبط نص العهد القديم لايقل عما قام به الماسورانيون.

ونص الكتاب عندهم يشمل الحروف والحركات فكلاهما مقدس عندهم، وقد قال القرائي يهودا هداسي عن ذلك « ان الكتاب المقدس يجب ان يشكل وينبَّر لان الإله لم ينزله بدون هذين». وهذا على العكس

مما يراه التلموديون فهم لايعتبرون التشكيل مقدسا. وقد قال الحاخام التلمودي نطروناي «ان الحركات لم تنزل في سيناء وانما العلماء هم الذين وضعوها». ويعتمد القراؤون التفسير الحرفي للكتاب وهو أحد الأسس العامة التي وضعها علماؤهم لتفسيره. ولكنهم في حالات معينة لايلتزمون بذلك كما إذا كان التفسير الحرفي مثلا يقود الى شيء غير مقبول في ضوء معتقدهم، أو انه يقود الى تناقض في معاني الكتاب أو أن التفسير يقتضي تجسيم الاله وحينئذ لايكون التفسير حرفيا.

الرواية (النقل) : اعتبرت الرواية التي أطلق عليها بالعبرية «هاعتقاه» اصلا من أصول الفقه عندهم، وقد أخذوا بها كما اخذوا ببقية الاصول الاخرى. والرواية عند القرائين لاتعني الرواية الشفوية كما هي عند التلموديين، بل اخذت تعني النقل المكتوب وهذا يجب ان يكون منقولا عن الانبياء بعد موسى عن طريق الكهنة الذين ضمهم العهد القديم. اما الرواية عند التلموديين فهي تعني ماتناقله رواتهم شفويا من حاخاميهم وعلمائهم الذين عاشوا ايام وجود المعبد اليهودي في القدس وبعد تهديمه.

ويعرف القراؤون الرواية الصحيحة أنها تلك التي كانت بيد الأمة بأسرها، أو بيد أكثرها وليس بيد قوم يسير لانها إذا كانت كذلك فهي - كما يقولون - رأي وليس برواية.

ويقول القرقساني «ان النقل يحتاج ان يكون في يد جميع الأمة أو في يد اكثرها مثل يوم السبت أو مايشبه ذلك الذي هو في يد الخلق اجمع. وهذا النقل الذي يدعيه من قال بقول الربانيين (التلموديين) انما هو في يد قوم يسير منسوبا اليهم دون غيرهم، اذ كنا نراهم يقولون

في من يخالفهم في العيد وفي غيره هذا مخالف للربانيين (التلموديين)، ولايقولون هذا مخالف لله أو لتوراته.[١]

ثم ان القرائين اشترطوا ايضا في الرواية الاّ تخالف حكما من أحكام التوراة.. وقد قال سهل بن مصلياح في ذلك: ان من واجبنا ان نفحص ما فعله الآباء ونختبر اعمالهم ونعرضها على التوراة[٢]. ومن الملاحظ ان هذا الرأي يتصادى ورأي العلماء المسلمين بالنسبة الى الاحاديث النبوية. إذ الاحاديث المخالفة للكتاب لايؤخذ بها ولايعتمد عليها. بل قد اشترط بعض علماء القرائين ان يكون للرواية دعم من الكتاب (التوراة) وتأكيد لها. فقد قال الياهو بتشياجي « ان الرواية التي ليس لها نص من الكتاب يدعمها هي رواية باطلة، وقد قال الشيخ الرئيس طوبيا عن الذين يقولون بان بعض النقل ليس له سند من الكتاب انهم ذوو عقول قاصرة ».[٣]

وقال ايضا « لقد قال علماؤنا ان كل رواية لاتخالف الكتاب ولاتضيف شيئا زائدا على حكمه وتكون مقبولة لدى اليهود ولها دعم غير مباشر من التوراة فهي رواية اصيلة ويجب قبولها ».[٤]

وقد رأينا كيف ان موسى يتشياجي (حفيد الياهو) من القرن السادس عشر قد اخضع الروايات الى الدراسة وذكر السلسلة الصحيحة للرواة الموثوقين من اليهود الذين يجب ان يؤخذ برواياتهم ويعتمد عليها. وقد وضع هذه السلسلة بدءاً من النبي موسى (ع)

«١» الانوار والمراقب، ١٣٤/١

«٢» Z Ankory, Karaites in Bysnatium, p. 233.

«٣» المصدر نفسه Z.Ankory, p. 249.

«٤» ال مصدر نفسه Z. Ankory, p. 249

وانتهاء بالأمير بوعز حفيد عنان بن داود «١». أي ان الروايات اخضعت لما يسمى في علم الحديث بالجرح والتعديل الذي وضعه العلماء المسلمون لتمييز الضعاف والمتروكين والمجهولين وغيرهم. وهذه السلسلة للرواة عند القرائين تختلف عن تلك التي يأخذ بها التلموديين كما ذكرت سابقا.

وقد اعطى الياهو بتشياجي امثلة من الاحكام التي اخذت عن طريق الرواية مثل الاحكام التي تتعلق بالذبح الشرعي للحيوان كطريقة الذبح وأداة الذبح. وكذلك موضوع بداية الشهر وثبوته عن طريق رؤية الهلال وغيرها من المسائل «٢». ويرفض القراؤون الأخذ بروايات التلموديين وذلك.-كما يقولون -لتناقضها فيما بينها وتصادمها مع نصوص التوراة. وقالوا كذلك إن التلموديين قد أزادوا وانقصوا وأنهم يقولون-اي التلموديون- ان الرواية يؤخذ بها حتى لو خالفت التوراة «٣».واتهموهم كذلك بانهم وضعوا اشياء من اجل التكسب بها عند الناس.«٤»

الإجتهاد : يرفض القراؤون فكرة التقليد التي اقرها التلموديون فيما يتعلق بالاحكام الشرعية والذين يرون ان اليهودي يجب ان يتبع ما سار عليه اباؤه ويأخذ بما اقره الاحبار الأوائل. وقد ردّ القراؤون على التلموديين آراءهم هذه وكان ممن رد ذلك أبو الحسن يافث بن علي إذ قال « فهذه الأقاويل ونظائرها تدل على بطلان قول اصحاب التقليد مثل قول (سعاديا بن يوسف) الفيومي الذين اهلكوا اسرائيل

«١» M. Waxmann, A History of Jewish Literature, Vol 2, p.445

«٢» المصدر السابق.Z. Ankory, pp. 249- 250

«٣» المصدر نفسه. Z. Ankory, p. 249

«٤» القرقساني، الانوار والمراقب. ص ١٤٩

بما دونوه، وقالوا ليس يجوز ان تعرف فرائض الله تعالى من البحث (وانه) يجب التقليد لخلفاء الانبياء، وهم اصحاب المشناة والتلمود فاطفى الناس بكتبه المزخرفة ».[١٠]

ومن جملة مايستدل به القراؤون على رفض التقليد ما جاء في سفر زكريا ٤/١ « لاتكونوا مثل ابائكم » وكذلك ما جاء في ا لمزمور ٧/٧٨ « ان الجيل القادم سوف لايكون مثل ابائه جيلا معاندا وغير مطيع ».[٢٠]واصبح الاجتهاد اصلا من أصول فقههم فاخذوا به وحثوا عليه.. وكان اول من دعا الى ذلك ونادى به مؤسس فرقتهم عنان بن داود الذي ينسب له القول المشهور« ابحثوا في ا لتوراة باجتهاد ولا تعتمدوا على رأيي». [٣٠] وقال النهاوندي « ان من يجتهد يثيبه الله حتى لو اخطأ في اجتهاده عن نية حسنة». وكان يقول عن نفسه بانه ليس نبيا أو ابن نبي، ومن حق من يقرأ كتبه ان يختلف معه في الرأي بقصد حسن » [٤٠] وقد قال الكلام نفسه القومسي وسلومون بن يروحام ويهودا هداسي. [٥٠]

و قال بعض علمائهم « ان من مسؤولية القرائي ان يدرس التوراة ويبحث فيها ويفهمها وان من لايدرسها يكون ذنبه اعظم من ذلك الذي يدرسها ويخطئ » [٦٠]. وهم يعتبرون البحث عن معاني التوراة والاجتهاد فيها والغوص في اعماقها كالبحث عن كنز دفين في باطن الارض، ويدعمون رأيهم هذا بما جاء في سفر الامثال ٤/٢ -٥ « ان

«١» المصدر السابق S.Poznanski, p.22

«٢» S.Baron, Social and Religious History of the Jews, vol 5, p. 235.

«٣» Z.Ankory, Karaites in Byzantium, p. 210.

«٤» المصدر السابق S. Baron, vol. 5. p. 235

«٥» N. Wieder, The Judean Scrolls and Karaism, pp 62-63

«٦» المصدر السابق. .... Z.Ankory p.249

طلبتها كالفضة وبحثت عنها كالكنوز حينئذ تفهم مخافة الرب وتجد معرفة الاله «١». وبسبب فتح باب الاجتهاد هذا تعددت الآراء الفقهية بين القرائين وكثرت حتى قيل انه لم يوجد (في القرن العاشر الميلادي) عالمان اثنان منهم اتفقا على مسالة واحدة من المسائل. وقد اعتبر ابو اسحق يعقوب القرقساني ذلك نتيجة طبيعية للاجتهاد وقال عن ذلك « ونحن انما نستخرج العلم استخراجا بعقولنا وما كان هذا سبيله لم ينكر وقوع الخلف فيه». «٢» ولقد قلّت هذه الإختلافات كثيرا بعد ان اشترط العلماء القراؤون على من يريد ان يستنبط حكما ان تكون له القدرة العلمية على ذلك والاّ فيجب عليه ان يستشير من هو اهل لذلك ». «٣»

ولم اعثر على شروط خاصة بالمجتهد اشترطها القراؤون كما اشترط العلماء المسلمون شروطا لمن يكون مجتهدا. ولكنني وجدت شرطا واحدا اعتبروه مهما في عملية استنباطالأحكام وذلك الشرط هو شرط التقوى والصلاح. وهم يقولون انه من لم يكن كذلك لم تفتح له أبواب الحكمة والصواب. وقد قال القومسي « ان الذين يجدون الحكمة هم الاتقياء فقط وأما الفاسقون فلا يصلون الى شيء». وقال يهودا هداسي « ان معاني التوراة الخفية لاتكشف الاّ لمن كان صالحا وتقيا وقال موسى بن آشر: « ان غير الصالحين والاتقياء لاتكشف لهم معاني التوراة». «٤»

«١» المصدر السابق. N. Wieder, p. 62

«٢» الانوار والمراقب ١٤/١

«٣» المصدر السابق. S. Baron, vol 5, p. 233

«٤» المصدر السابق. N.Wieder, p. 61

القياس : اصبح القياس لدى القرائين الذي اطلقوا عليه بالعبرية «هاقش» اصلاً من اصول الفقه عندهم منذ السنين الاولى لنشأة الفرقة وظهورها، فقد استعمله مؤسس الفرقة عنان بن داود وطبقه. ولكن طبيعة القياس عند القرائين قد تطورت بمرور الزمن فهم لم يقتصروا على القياس وحده، بل اصبح عندهم مايسمى بقياس القياس، ولم تقتصر انواع القياس عندهم على مثل ما في مدارس الفقه الاسلامي ومذاهبه بل تعددت انواعه وكثرت طرقه ووصلت الى مايقرب من ثمانين نوعا.

وكان القياس باستعماله على هذا النطاق الواسع عند القرائين قد اصبح موضوعا للجدل والنقاش بين الفرقتين. وكان الحاخام سعاديا بن يوسف الفيومي ابرز من حاججهم في ذلك، وكان من جملة ماذكر في هذا الخصوص ان القرائين لم يكونوا يضطرون لاستعمال القياس بهذه الكثرة لولا رفضهم للتلمود.[١]

وقد دافع القراؤون عن اخذهم بالقياس واعتمادهم عليه كأحد أصول الفقه لديهم. وقالوا في نقاشهم للتلموديين « ثم يقال لهم هل بقي شيء مما يحتاج الى معرفته من الفرائض والاحكام لم يدون في المشناة والتلمود، ونحتاج في معرفته الى القياس والاستخراج أو لم يبق شيء البتة الأ وقد احكم بالتدوين. فان زعموا انه بقي شيء لم يدون، بطل ما يدعونه من ان النقل اتى على جميع مايحتاج اليه ووجب الاستخراج والقياس. وان زعموا انه لم يبق شيء الأ وقد احكم بالتدوين فسد قولهم من جهتين.

---

[١]. الانوار والمراقب ٧٩/١

إحداهما: انه قد تحدث في العالم من الامور التي يحتاج فيها الى دقائق الاحكام مالا يتهيأ ان يحصر ويقع عليه تحديد أو تعديد، وليس يجوز ان يكون النبي قد جاء الى جميع مايريد ان يحدث في العالم من هذه الامور فذكره باسره حتى لم يبق منها شيء البتة الاّ ذكر مايجب فيه من الحكم، ان هذا لفي غاية المحال.

ثانيتهما: مايشاهد من فعلهم هم وهوانه قد يعرض سؤال فيكتب به الى شخصين من رؤوس المثائب فيجيب كل منهما فيه ويحكم بخلاف مايجيب الآخر فلو كان ذلك بتلقين وحكم ونقل مدون لم يقع فيه خلف. فصح من ذلك ان كل واحد منهما أجاب وحكم بحسب مالاح له وظهر على جهة الاستخراج والقياس.وهذا ماليس منه محيص ومنه يثبت القياس ويبطل مايدعونه من النقل ويسقط»[١].

ويقول الياهو بتشياجي ان هناك احكاما لم تذكر بشكل صريح ولكنها تتضح من خلال احكام شرعية اخرى أو من اقوال الانبياء... وهذه الاحكام انما تستنبط بطريقة القياس. ثم يقول والقياس انواع مختلفة كما هو واضح من اقوال علمائنا»[٢].

ولابأس ان نعطي بعض الامثلة مما قاسه القرائون من احكام. فمن امثلة القياس عند عنان تحريمه ابقاء النار أو الضياء عند دخول السبت قياسا على توقف العمل فيه. وقد ورد تحريم العمل في يوم السبت في سفر الخروج.٢٠/١٠ « وأما السابع ففيه سبت للرب الهك لاتصنع عملاً مّا انت وابنك وابنتك»، وجاء النهي عن اشعال الضياء والنار في يوم السبت في سفر الخروج ايضا٣٥/٣.ونصه «لاتشعلوا

«١» الانوار والمراقب.١/١٢٣

«٢» L. Nemoy, Karaite Anthology, p. 246.

ناراً في جميع مساكنكم يوم السبت » ففي العبارتين يبدأ النهي بالتاء (لاتصنع/ لاتشعلوا). وحينئذ فكما يجب التوقف عن العمل قبل دخول ا لسبت فكذلك يجب اطفاء ما اشعل من نار وضياء قبل دخول السبت [١]... والتلموديون لايوجبون إطفاء ماكان مشعولا قبل دخول السبت، ويرون حرمة الاشعال بعد دخوله فقط لانه يعتبر عملا.

ومن مسائل القياس مسألة الثور النطّاح الذي يقتل انسانا. فقد ذكروا: « ان الكتاب قد اوجب في الثور النطاح اذا أُشهد على صاحبه (أن ثوره نطّاح) ولم يحفظه وقتل انسانا بعد الشهادة ان صاحبه يقتل. فالقياس يوجب مثل ذلك في جميع الحيوان المؤذي مثل الكلب وغيره.[٢]» وما جاء في التوراة عن الثور نصه هكذا في سفر الخروج ٢١/٢٩ « ولكن ان كان ثورا نطاحا من قبل وقد اشهد على صاحبه ولم يضبطه فقتل رجلا او امرأة فالثور يرجم وصاحبه ايضا يقتل». وهذا القياس كما هو واضح من المثال انما هو قياس العام على الخاص إذ لم يقصر القراؤون هذا الحكم على ا لثور النطاح وإنما قاسوا عليه عموم الحيوان المؤذي.

ومن الاقيسة عندهم مايسمى بقياس الاهم على المهم أو قياس الأعلى على الأدنى. ومن الأمثلة التي يضربونها على ذلك ماجاء في سفر اللاويين ١٨/١٠ « لاتكشف عورة ابنة ابنك او ابنة بنتك »، وهذا ينص على حرمة الزواج بالحفيدة ولم تنص التوراة صراحة على حرمة الزواج بالبنت. وهذا التحريم (اي تحريم الزواج من البنت) قد قيس بطريق الاولوية على حرمة الزواج بالحفيدة اي اذا كان

«١» المصدر نفسه. L. Nemoy, p.9

«٢» القرقساني، الانوار والمراقب.١٠٣/١

الزواج بالحفيدة حرام فالزواج بالبنت تكون حرمته بطريق أولى.»[١]

ومثل هذا القياس سمي عند علماء اصول الفقه الاسلامي بقياس الاولوية. وقد مثّلوا له بما ورد في ا لقران الكريم من النهي عن التأفف من الوالدين (ولاتقل لهما أف) الذي يقضي بطريق أولى تحريم ضربهما واهانتهما»[٢].

الإجماع : من الاصول التي اعتمد عليها القراؤون في استنباط احكامهم الفقهية اصل «الاجماع».الذي اطلقوا عليه باللغة العبرية «عدة » والتي تعني «جماعة». وقد اختلف القراؤون - كما اختلف اصحاب المذاهب الفقهية الاسلامية.- في تعريف الاجماع وطبيعته.

فبعض القرائين يرى في الروايات المتفق عليها اجماعا، وقال بعضهم ان الاجماع الصحيح هو ما اجتمعت عليه أفاريق اليهود بأسرها وما ما لم تجتمع عليه باسرها فانه ليس باجماع صحيح»[٣].

ويقول القرقساني « وقالت طائفة من اصحابنا ان النقل والاجماع هو مالم يكن منسوبا الى قوم باعيانهم، ولاعليه دليل من النص ولا من القياس، وانما يوجد في يد الامة تلقيًا من جهة الاجماع فقط لامن جهة غيره»[٤] ، بينما يرى البعض الآخر من القرائين ان الاجماع ماهو الاّ قياس من الاقيسة»[٥].

ويأخذ القرقساني بالرأي الذي يقول « ان الاجماع هو الذي يوجد

«١» L. Nemoy, Karaite Anthology, p. 247 .

«٢» محمد تقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن ص ٣١٧.

«٣» القرقساني، الانوار والمراقب.١/١٤١

«٤» الانوار والمراقب.١/١٤٢

«٥» المصدر نفسه والصفحة نفسها

في يد الامة تلقيا من جهة الاجماع ولايكون منسوبا الى قوم باعيانهم وليس عليه دليل من النص ولا القياس. وهو يعطي امثلة على ذلك فيقول هو مثل اجماعهم على ان هذا اليوم هو يوم سبت من بين سائر الايام، وليس ذلك منسوبا الى قوم باعيانهم وانما اخذ نقلا ووراثة وهو في جميع الامة من الشرق والغرب لم يخالف في ذلك احد على غالب الدهور.»[١]

ويضرب امثلة على مالم يقع الاجماع عليه فيقول ان ذلك مثل اسماء كثير من الطير والجواهر وماشاكل ذلك في التوراة، فلأنه لم يقع عليه الاجماع وقع فيه الخلاف»[٢]. ولكن القرائين قالوا كذلك ان الاجماع ينعقد ويؤخذ به اذا ضمّ بين المجمعين اماما معترفا به ومعتمدا عليه من علماء الكتاب (التوراة).»[٣]

«١» المصدر نفسه ١٤٣/١

«٢» المصدر نفسه ١٤٥/١

«٣». Z. Ankory, Karaite in Byzantaium, p. 223

الفصل السادس

من تاريخ النزاع بين القرائين والتلموديين

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين

من تاريخ النزاع بين القرائين والتلموديين

كان النزاع قد بدأ بين الفرقتين منذ الوقت الذي اختلف فيه عنان مع التلموديين وانفصل عنهم. وقد ظل هذا النزاع مستمرا بين الفرقتين الى بداية هذا القرن. وقد تطور في فترات من التاريخ الى معارك بينهما راح ضحيتها بعض الناس.ولم يكن ماحدث مقتصرا على منطقة معينة بل شمل ذلك اكثر المناطق التي سكنت فيها الفرقتان وذلك على الرغم من عدم سكنى القرائين مع التلموديين في حي واحد لأن القرائين امروا من قبل عنان ومن خلفه ان ينفصلوا عن التلموديين ما امكنهم الانفصال بل ان ذلك واجب عليهم . وقد قال يهودا هداسي « ان من يسكن مع التلموديين ويعيش معهم ويسمع قولهم ويسكت عليه فانه كافر مثلهم ومصيره مصيرهم » وهو يستدل على ذلك بما جاء في سفر العدد ٢٦/١٦ «فكلم موسى الجماعة قائلا اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة ولاتمسوا شيئا مما لهم لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم»[١].

وقد بدأت هذه النزاعات أول ما بدأت في منشأ الفرقة وموطنها الاصلي بغداد.

---

[١] N. Wieder,The Judean Scrolls and Karaism. p. 156

وكان ذلك عندما اعلن حفيد عنان داود بن شاءول بن عنان عام ٨٢٥ م أنه يعتبر نفسه رأس الطائفة اليهودية بفرقتيها وأعلن كذلك انه احق بذلك من غيره.وعلى أثر ذلك انفجر نزاع حاد بين الفرقتين ووصل الى أسماع المأمون العباسي، فأصدر امراً من جانبه يجعل كل فرقة منفصلة عن غيرها مستقلة عنها [١]. وكانت فلسطين من البلدان التي استقر فيها القراؤون مبكرا كما ذكرنا سابقا. ويذكر المؤرخون ان نزاعات كانت تحدث بين الفرقتين في هذا البلد بين فترة واخرى. فكان منها ما حدث أيام الحكم الطولوني (٨٦٨ -٩٠٥م). فمما يذكر من ذلك ان القرائين قدموا شكوى الى الوالي على أثر نزاع مع التلموديين ونتيجة لذلك حكم على شخص تلمودي اسمه هارون بن مئير بالجلد والسجن. [٢] ويذكر هارون بن مئير هذا في قصته مع القرائين- في رسالة له الى يهود العراق - ان جدّه موسى كان قد قتل في حادثة حدثت مع أتباع عنان في القدس [٣]. ومن القضايا البارزة التي سجلها المؤرخون لنا هو العمل الذي كان يقوم به التلموديون لإثارة القرائين في كل سنة. فقد كان التلموديون يحتفلون بأعداد كبيرة في « عيد المظال » على جبل الزيتون، وكان القراؤون ايضا يحتفلون عنده،واثناء الاحتفال يردد التلموديون لعن القرائين أمامهم وإعلان طردهم من اليهودية. وقد ذكر ذلك التلمودي ابراهام بن داود باختصار بالنص الآتي « عندما كان اليهود يحتفلون بعيد المظال (في كل سنة) على جبل الزيتون كانوا يتجمعون جماعات جماعات على

«١» S. Baron, Social and Religious History of the Jews, vol 5, p 222

«٢» المصدر نفسه S. Baron, vol 5, p 223

«٣» المصدر نفسه S. Baron, vol 5, p 395

الجبل وكانوا يحيون بعضهم بعضا بحرارة، وكان الزنادقة (القراؤون) يعسكرون قربهم كقطيعين صغيرين من الماعز. عندئذ يحمل الحاخامون نسخة من التوراة ويخرجون معلنين طرد هؤلاء في وجوههم ويظل هؤلاء لايقولون شيئا كانهم كلاب خرس ».[١]

ولكن بعد أن ازداد عددالقرائين بدأوا يردون على التلموديين ويعترضون عليهم وكان نتيجة ذلك حدوث شجارات بينهم ذهب ضحيتها بعض القتلى ».[٢]

وكانت هناك أسباب اخرى للنزاع في فلسطين. فعندما كانت اكثريةاليهود في فلسطين من التلموديين كانت السلطة الدينية على كل الطائفة اليهودية تعطى لهم من قبل الحكومات الاسلامية.

وكان من بعض هذه السلطة الاشراف على الذبح والاشراف على البيع والشراء وعلى المناسبات الدينية وما الى ذلك. وقد كان الكثير من الاحكام التي تطبقها السلطة لاتتفق مع احكام القرائين. فقد كان التلموديون مثلا يفرضون على ا لقرائين غلق دكاكينهم في اعيادهم ومناسباتهم الدينية وهي في أحيان كثيرة لاتتفق مع أعياد القرائين ومناسباتهم بسبب اختلاف نظام التقويم لدى الفرقتين. وأما أحكام الذبح فهي ايضا تختلف عما هي عليه عند التلموديين فبعض أنواع الذبح لايقرها القراؤون ولايرون جوازها، مثل ذبح الحيوانات الحوامل وكذلك طريقة فحص الحيوان الذي يذبح، وكذلك شروط الذبح الى غير ذلك. وتصبح اكثر ذبائح التلموديين ان لم تكن كلها ليست حلالاً على

«١» سفرها قبلاه (القسم العبري) ص ٦٨

«٢» J. Mann, The Jews in Egypt and in Palestine under the Fatimid Caliphs, vol 1, p.60

القرائين محرماً اكلها عليهم. وكان النزاع يحتدم بين الفرقتين حول هذه المسائل ويتطور الى معارك أحيانا، ولكن ذلك لم يوصل القرائين الى نتيجة. ولذلك اشتكوا التلموديين الى ا لحكومة وكان ذلك زمن حكم الظاهر الفاطمي.إذ كانت فلسطين يومها جزءا من الدولة الفاطمية. وقد أصدر الظاهر أمره حول هذه المسائل في منشور مؤرخ في جمادى الاولى من عام ٤١٥ هـ (١٠٢٤م). وهذا المنشور ناقص من بدايته وما بقي منه هذا نصه «... في مذهبها وتمكينكم واياهم من الجري على عادتكم والاستمرار على السنن الذي الفتموه في ديانتكم، من غير اعتراض يقع من فرقة عل فرقة، ولاتحامل يتم من إحدى الطائفتين على الاخرى. وإجراء اصحاب المهن منهما على ماجرت به في ملازمة البيع والشراء عادة اعتمادهم، أو ترك ذلك بحسب إرادتهم وإختيارهم في أيام أعيادهم. وتحذير كافتكم التعرض للتحامل الواقع من بعضكم على بعض، او الاقدام على تجاوز هذا الحكم بتعدٍ له أو نقض.والأمر لكم ولهم جميعا، بأن تكفوا كل مفسد منكم عن التنافر العائد بالمحذور، والانزاع عن التظاهر، والاختلاف الداعي فيما بينكم الى اثارة الشرور. وإعلامكم جميعا انه من تعدى منكم هذا المحدود بجهله، ودعاه الى التبسيط والإقدام على مالايجوز لمثله، أوقع به وجيع التأديب، وفظيع التنكيل مايكون له رادعا، ولكل مايجري مجراه في الجهل وازعا، مع عدم التعرض لطائفة القرائين في كنيستهم المختصة بهم دون غيرهم. فليعلم ذلك من أمر أمير المؤمنين ورسمه، وليعمل عليه وبحسبه، ولينته الكافة الى ارتسامه واحتذائه.وليراع أمير الجيوش نصره الله، وأظفره وأحسن عونه، وجميع ولاة فرق الاعمال طائفتي اليهود اللتين تكنفهما ذمة الملة، وتحوطهما قضية المعدلة، وتضمنهما اعمال المملكة، مراعاة تثنيهم عن الشرور، وتحميهم عن

المحذور وتجريهم على المأثور ،وتحملهم على حكم هذا السجل المنشور. وليوعزوا بصيانتهم وحياطتهم، والمنع عن أذيتهم واستضامتهم، وليقرر بأيدي من كتب لهم ان شاء الله،وكتب يوم الاربعاء لإحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة خمس وعشرة واربع مائة.والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين وعلى اله الطاهرين الائمة المهديين وسلم تسليما، وحسبنا الله ونعم الوكيل. الحمد لله وحده كما هو اهله، نسخ في ديوان الانشاء والحمد لله ولي كل نعمة »[١].

وكما يبدو من بعض عبارات هذا المنشور ان الطائفة التي كانت تشكو ظلامتها هي طائفة القرائين فالامر ينص على «عدم التعرض لهم في كنيستهم المختصة بهم دون غيرهم ».

وقد نص الأمر على مسائل تتعلق بالاختلافات فيما بينهم كمسألة الاعياد ومسألة البيع والشراء ومن خلال النص على قضية عدم التعرض لكنيس القرائين ان التلموديين كانوا يضايقون القرائين ويعتدون عليهم فيه.

ولم يهدأ الامر تماما بل كانت تحدث حوادث ونزاعات بين فترة واخرى. وهناك بعض الرسائل التي ارسلها التلموديون الى طائفتهم بالقاهرة تشير الى ذلك حتى بعد اصدار الأمر السابق، وان كانت هذه الرسائل لاتنص على طبيعة اسباب هذا النزاع [٢].

«١» S. M. Stern, Fatimid Decrees, pp 24-26

«٢» J. Mann, Text and studies in Jewish History and Literature, vol 1, p. 134

ومن هذه الحوادث التي ذكرت هو أنه في إحدى السنين بعد صدور المنشور الذي ذكر سابقا، ذهب اثنان من مدرسي مدرسة تلمودية دينية الى جبل الزيتون كالسابق، واعلنا مرة اخرى قرار الطرد والحرمان بحق القرائين. ولكن قبض عليهما وأبعدا الى دمشق (اذ كانت آنئذ تابعة الى مصر) وسجنا هناك.وبعد ضغط من التلموديين في مصر اخرجا من السجن، ولكن القرائين أصرا على ان لايرجعا الى فلسطين وأكد القراؤون ايضا مطالبهم السابقة. ويبدو انه بتأثير من رئيس الطائفة اليهودية التلمودية في مصر الذي يسمى "النجيد " على بعض أفراد الحكم لم يتمكن القراؤون من أن يحققوا كل ما يريدون»[١].

وقد شعر التلموديون على ما يبدو في واحد من هذه النزاعات بالمظلومية والتعدي عليهم من قبل القرائين فاوصلوا الأمر الى الظاهر الفاطمي فاصدر منشوراً بهذا الشأن. وهذا المنشور ليس مؤرخا وبعض الكلمات من نهايته ليست واضحة وقد جاء فيه الآتي :

« عرضت بحضرة أمير المؤمنين رقعة مترجمة بجماعة اليهود الربانيين (التلموديين)، يسألون فيها حملهم على مقتضى السجل المكرّم المكتتب لهم، بأن يمكن احبارهم من اقامة فروض ديانتهم وسالف سننهم في مجامع صلاتهم، والتصرف في خدمة جماعتهم بالقدس والرملة وغير ذلك من البلاد. وأن يكف عنهم أيدي من يعرض عليهم مالايسوّغه اياه عدل الدولة، ويسومهم مالم تجر العادة بمثله، وترك معارضتهم في اعيادهم وأقامة رسومهم فيها، وقصر ايدي من يحول هذه الحال من خصومهم. فأمر أمير المؤمنين بكتب منشور

---

[١] المصدر نفسه J. Mann, vol 2, pp 62-63

تضمن قصر أيدي كل طائفة من الطائفتين من الربانيين والقرائين من اليهود عن الاخرى. وان يمكن كل من يتمذهب هذين المذهبين من الجري على سننهم المألوفة في ديانتهم من غير اعتراض يقع من احدى الطائفتين على الاخرى في ذلك. ولايمكن القرائين من اعتراض مقدمي الربانيين بالابعاد من اعمال القدس وفلسطين، وأن يجري اصحاب المهن من الطائفتين على ماجرى به عادتهم من ملازمة البيع والشراء، او القعود عنه بحسب ارادتهم في ايام اعيادهم.ولتحذر كل من الطائفتين من التعرض لما يخرج عن هذا الحكم وليعلم انه إن تعدّى أو تجاوز أوقع به من غليظ التأديب ما يردعه ويشعف به غيره.وأن تحذر غاية الحذر من مراقبة تقع منك أو محاباة... وأن تعتقل من يخالف هذا المأمور وتنهي حاله. فاعلم ما أعلمك به أمير المؤمنين وانته الى ما أمرك به في معناه واعمل بموجبه ومقتضاه ان شاء الله تعالى. »[١].

ويبدو ان هذا المنشور بالاضافة الى انه يشير الى مسائل الخلاف بصورة عامة كالمنشور الاول لكنه ايضا يشير الى «عدم تمكين القرائين من اعتراض مقدمي الربانيين بالابعاد من اعمال القدس وفلسطين ». ويتبين للقارى من هذه المناشير الى جانب ما قصدناه منها مدى الحرية التي عاش فيها اليهود وتمتعوا بها والامن الذي نعموا به في ظل دولة المسلمين.

وفي الاندلس – في قشتالة وما حولها – كان سيد أبو الطراس الذي مرّ ذكره نشطا في الدعوة الى فرقته.ويذكر لنا التلموديون الذين عاصروه بانه كان له تأثير على بعض اليهود فتركوا اليهودية الرسمية وتحولوا الى يهود قرائين.وعندما توفي سيد خلفته زوجته في نشاطه وكانت لها منزلة عند ابناء فرقتها فاطلقوا عليها لقب «المعلمة»، إذ

[١] S. M. Stern,, Fatimid Decres, pp 32-33

كانوا يعتمدون عليها ويستفتون رأيها. وقد شعر التلموديون بنشاط هذه الفرقة فبادر رئيس طائفتهم يوسف بن فريزول سيد لوس الى استصدار أمر من الحكومة لطردهم وكان له ذلك، فجمعهم من كل انحاء قشتالة وما حولها وأسكنهم في مكان واحد فيها. وكانوا يضايقونهم ويعتدون عليهم وبعد وفاة يوسف بن فريزول عاد القراؤون الى شيء من نشاطهم وعاد التلموديون الى استصدار أمر ضدهم. ويقول التلمودي ابراهام بن داود في هذا الخصوص « انه أيام حكم الملك الفونس بن ريموند ظهر رؤساء للطائفة اليهودية اتبعوا طريق آبائهم وقضوا على الخوارج »[١] ويقصد بالخوارج هنا القرائين اذ ان هذا احد الاسماء التي اطلقها عليهم التلموديون.

وفي بيزنطة بدأت النزاعات بين الفرقتين في وقت مبكر بل منذ ان بدأ القراوون يستقرون هناك. وكان الكثير من اسباب هذه النزاعات دينية. وكان من هذه مسألة التقويم والاعياد التي تصادف في ايام مختلفة لدي الفرقتين. وقد اشارت احدى الرسائل التي كتبها تلمودي في القرن الحادي عشر الى ذلك فقد جاء فيها :

« وكما تعرف أيها الصديق العزيز ان القرائين اعتركوا معنا في السنة الماضية مرة اخرى وقد تعدّوا على الاعياد المقدسة واحتفلوا بعيد السنة الجديدة في الشهر الثامن. لانهم لم يتسلموارسائل من فلسطين بنضوج الشعير في نيسان ولذلك احتفلوا بالفصح في ايار ونتج عن ذلك عراك شديد ونزاعات كثيرة (بين التلموديين والقرائين)

«١» ابراهام بن عزرا، سفرها قبلاه (القسم العبري) ص ٦٩

وغرمت جماعة التلموديين مايقرب من الف دينار «١».

وكما يظهر من هذه الرسالة ان هذا النزاع لم يكن الاول وانما قد سبقته نزاعات. وكان يحدث ذلك كلما لم تتفق أيام الاعياد أو رأس السنة اليهودية عند الفرقتين.

وكان من اسباب النزاع تدريس الاطفال في المدارس الدينية التلمودية. وكان القراؤون يرغبون في ارسال اولادهم الى هذه المدارس ولانعرف الاسباب الحقيقة وراء ذلك، ولكن التلموديين كانوا يرفضون استقبال هؤلاء الاولاد في مدارسهم وكانت حجتهم في ذلك ان هؤلاء يستعملون معرفتهم وعلمهم بالتلمود للرد على التلموديين ومناقشتهم. «٢» وكذلك حرم التلموديون في بيزنطة على كل امراة منهم ان تعمل في بيت قرائي وقالوا في سبب ذلك انهن يتعلمن اشياء محرمة غير جائزة في شريعتهن، وانهن بعملهن يخالفن المناسبات الدينية التلمودية وكذلك يأكلن طعام القرائين الحرام. وقد شدد التلموديون على ذلك وأصدر رؤساؤهم قرارا بالطرد من اليهودية لكل من يسمح لبناته في العمل عند القرائين.«٣»

ولكثرة هذه النزاعات وتكررها وضعت الحكومة في مدينة بيرا التي هي جزء من اسطنبول الحالية حاجزا بين الفرقتين.ذكر ذلك بنيامين التطيلي الرحالة اليهودي في القرن الثاني عشر.وقداشتكى طوبيا بن موسى القرائي من التلموديين في بعض ابيات من الشعر هذه ترجمتها.

«١» J. Starr, The Jews in the Bysantine Empire , (641-1204) p 182 - 83

«٢» J. Mann,Texts and Studies in Jewish History and Literature, vol 2, p 300

«٣» المصدر نفسه J. Mann, vol 1, p30

انهم يستصغرونني ويعاقبونني
وفي كل وقت ينازعونني
وان منهم من جسمه ضخم كالدب
ومع كل هذا فانا واحد وهم كثر
خلصني يارب من الطواغيت
انقذني يارب من الطواغيت «١»

وفي بولندا كانت هناك نزاعات ومناوشات كثيرة بين الفرقتين حول قضّايا اقتصادية وغيرها مثل الضغط على القرائيين للحصول على ضريبة عالية إذ كانت الحكومة في بولندا تفرض ضريبة معينة على عامة اليهود وكان التلموديون هم المسؤولون عن جمعها. اما القراؤون فكانوا يشكون دائما من النسبة العالية التي يفرضها عليهم التلموديون. وكانوا ايضا يشكون من التحيز في المحاكم التلمودية الدينية.

ولقد عثر على رسائل كثيرة فيها شكاوي من هذا القبيل.ومن هذه الرسائل رسالة كتبها قرائي من القرن الثامن عشر يقول فيها صاحبها « لم يكن في السابق احد منهم (التلموديين) في بلدتنا ولكنهم الآن طوقونا مثل الكلاب الوحشية وهم الآن كثيرون لايمكن عدّهم » «٢»

«١» Z. Ankory, Karaites in Byznatium, p 353

«٢» J. Mann, Texts and Studies in Jewish History and Literatue vol.2,.pp 652-658

وتقول احدى الرسائل وهي تتحدث عن مدينة تروكي حيث كان القراؤون الاكثرية بان التلموديين ضغطوا على القرائين وأزعجوهم وضايقوهم حتى اضطروهم الى ترك منازلهم والهجرة من تلك المدينة الى أماكن اخرى.

وفي مدينة بوسول حيث كان يسكنها القراؤون لوحدهم وكان لايحق للتلموديون ان يساكنوهم ولكنهم اجتاحوها تدريجيا ولم يبق فيها كما تقول الرسالة الاّ اثنان من القرائين . وتقول واحدة من هذه الرسائل من مدينة فلنا « انتم التلموديون تلاحقوننا بسيف الحقد والكره والتعصب حتى ا لهلاك»[١].

وقد أخرج التلموديون القرائين من مدينة نومينستو ايضا وبونيز وفي بعض القرى والقصبات لم يتمكن القراؤون من الارتزاق فاضطروا لتأجير انفسهم خدما عند التلموديين يقومون غالبا في الخدمة في بيوتهم.

وفي كل مكان كان عدد التلموديين أكثر من القرائين نرى التلموديين يفرضون عليهم ان لايقوموا بأي عمل تجاري في اعيادهم ويضغطون عليهم في ان يظلّوا في بيوتهم مثلهم.

وفي روسيا ايضا كان النزاع يشتد بين حين وآخر حتى القرن التاسع عشر. وفي هذا القرن كان النزاع على أشده بينهم وكان التلموديون قد شهروا بزعيم القرائين ابراهام فرقوفتش (ت ١٨٧٤م) الذي مرّ ذكره وهو عالم معروف ليس بين القرائين حسب ولكن عند اليهود بصورة عامة. وكان فرقوفتش لايطيق التلموديين ولايتحملهم

---

[١] المصدر نفسه J. Mann, vol 2, p 661

وكان ايضا قد كتب بعض الرسائل ضدهم يفند مزاعمهم ويدحض حججهم، وكان من جملة ما اقترح على الحكومة الروسية عام ١٨٢٥م أن تبعد التلموديين من بعض الحدود الروسية، وذلك من اجل ايقافهم عن القيام بالتهريب والمتاجرة بالسوق السوداء، وكذلك اقترح على الحكومة ان تشغلهم بالزراعة وتغريبهم بها وتبعدهم عن التجارة والصناعة اذ هم ماهرون بالغش والخداع فيهما. [١] كما قال.

[١] دائرة المعارف اليهودية مادة : Abraham Firkofivich

الفصل السابع

من مسائل الخلاف الفقهي بين الفرقتين

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

من مسائل الخلاف الفقهي بين الفرقتين

كان لاختلاف الفرقتين في موضوع أصول الفقه والتفسير نتائج مهمة كان منها الإختلاف في كثير من مسائل الفقه. ولو اردنا ان نجمع المتفرق من هذه المسائل الخلافية في الفقة وأدلة كل فريق عليها لاحتجنا الى كتاب ضخم في هذا الموضوع. وليس من غرضنا القيام بمثل هذه المهمة في كتابنا هذا، وانما الغرض من هذا الفصل هو ذكر مجموعة قليلة من مسائل الخلاف الفقهي بين الفرقتين رغبة في اطلاع القاريء على بعض نتائج الخلاف المذهبي بينهما وطبيعته.

التقويم السنوي :

من المسائل المهمة التي كانت مثارا للاخذ والرد بين الفرقتين منذ بداية انشقاق الفرقة هي مسألة التقويم.وقد ظلت هذه المسألة سببا للنزاع في كل منطقة سكنت فيها الفرقتان قرب بعضهما. وأصل الاختلاف هو في قضية تعيين اليوم الاول من الشهر. فالتلموديون يعتمدون في ذلك على نظام الحسابات الفلكية وأصبح رأس كل شهر عندهم معيناً وفق هذه الحسابات. وبالنسبة الى التقويم السنوي فهم يأخذون بالنظامين الشمسي والقمري ولتعويض الفرق بين السنة

الشمسية والسنة القمرية يلجأون الى اقحام شهر زائد يسمى آذار الثاني في بعض السنين فتصبح عدة الشهور في تلك السنة عندهم ثلاثة عشر شهرا.

بينما يعتمد القراؤون في تحديد رأس الشهرعلى رؤية الهلال وهي تختلف من شهر الى شهر، ونتيجة لهذا تكون الاعياد والمناسبات المهمة مختلفة في كثيرمن الاحيان بين الفرقتين، ويحدث هذا عندهم في اكثر المناسبات قدسية واعظمها شأناً مثل « يوم كبور » (يوم الغفران).

السبت :

هناك اختلافات كثيرة بين الفرقتين حول مايجوز عمله في يوم السبت ومالايجوز. فالتلموديون قد عدّوا تسعة وثلاثين فعلا وعملا لايجوز للانسان اليهودي ان يقوم بها يوم السبت وقد ذكر عدد هذه في المشناة في فصل Shabbat. اما القراؤون فهم لايحددون عددا معينا من هذه، وانما قالوا بأنه لايجوز لليهودي القيام بأي عمل يوم السبت ما لم يكن هذا عبادة او جزءا من عبادة أو شيئا تحتمه الضرورة لحياة الانسان. فمثلا لايجوز السفر في يوم السبت ولكن اذا كان لضرورة تتوقف عليها حياة انسان فانه جائز. واجازوا الصيام يوم السبت مثلا لانه عبادة بينما لم يجز التلموديون ذلك. وأجازوا كذلك الخروج من البيت الى الكنيس لأداء الصلاة، بينما اجاز التلموديون الخروج من البيت يوم السبت حتى لو لم يكن لعبادة او ضرورة، ولكنهم حددوا مسافة لذلك. فهم مثلا اجازوا اخذ الماشية الى المرعى في حدود هذه المسافة المعينة. واحكام السبت بصورة

عامة عند القرائين اشد منها عند التلموديين. فهم لا يجيزون الاستحمام يوم السبت ولا استعمال الماء الجاري بل ولا فتح إناء مغلق.»(١)

وكذلك لم يجز علماء القرائين الاوائل إيقاد النار او الضياء ليلة السبت التي هي جزء من السبت وهم بهذا مثل الفلاشا والسامريين، بل حتى لو كان شيئا منهما مضيئا فانه يجب ان يطفأ قبل دخول ليلة السبت. ولكن يشوع بن يهودا الذي مرّ ذكره سابقا اجاز إبقاء الضياء واستمرار النار حتى لو دخل السبت، ولكن لم يأخذ بهذا الرأي قراؤون آخرون فانقسموا في هذه المسألة الى مجموعتين، منهم من يوقد ضياءً أو ناراً ومنهم من لايفعل ذلك فسمى الأولون اصحاب النور وسمي الآخرون اعداء.

والنهي الذي ورد في التوراة عن اشعال النار جاء بالنص التالي : «ولاتشعل نارا في كل مساكنك في يوم السبت » ولكل فرقة تفسيرها لهذه الفقرة وادلتها على رأيها لسنا معنيين بها هنا.

الصلاة:

عدد الصلوات اليومية عند التلموديين ثلاث صلوات وهي صلاة الصبح (شحريت) وصلاة العصر (منحا) وصلاة ثالثة تؤدى في المساء (معريب). وهي بصورة عامة ليست واجبة كوجوب الاولى والثانية.

أما القراؤون فان عدد الصلاة اليومية عندهم اثنتان هما صلاة في

(١) L. Ginzberg, An Unknown Jewish Sect, pp 145-146

الصبح وتسمى (بُقر) وصلاة في المساء وتسمى (عُرب).

أما مضمون الصلاة اليومية عند القرائين فهو يختلف عما هو عليه عند التلموديين. فهذه الصلاة تقتصر على عبارات وفقرات من العهد القديم وقد أبعد القراؤون منها ماهو ليس كذلك. وكان هذا الحكم قد بداه مؤسس الفرقة عنان. وعلى هذا فان القرائين يرفضون الجزء الذي يسمى « العميدا » والمعروف بـ « شمونه عسره » وهذا الجزء هو عنصر مهم جدا في صلاة التلموديين. والقراؤون يرفضون كذلك «القدّوش» الذي يؤديه التلموديون ويرفضون مايقال من بركات قبل وبعد « الشمَع ». وانما أبقى القراؤون على جزء الشمع لانه مأخوذ من عبارات من العهد القديم، وردت في سفر التثنية ٦/٤-٨ والتي تبدأ هكذا « اسمع [١]، يا إسرائيل الرب الهنا رب واحد فاحبب الرب الهك من كل قلبك ومن كل نفسك وبكل قوتك.ولتكن هذه الكلمات التي أنا اوصيك بها اليوم على قلبك وقصها على اولادك وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق وحين تنام وحين تقوم » اما بالنسبة الى الوضع في الصلاة فالتلموديون يشترطون الوقوف في جزئين منها هما « شمونه عسره » و « قدوشا».

اما القراؤون فهم يجلسون على الركبتين بصورة عامة ويرفعون اليدين ويقفون في جزء مهم من الصلاة وهو الجزء الذي يسمى «يحود» (التوحيد) وهم يدخلون مع هذا الجزء «الشمع » ايضا (مع ان الشمع تقرأ عند التلموديين والمصلي جالسا).

اما التهيؤ للصلاة فقد اعتبر القراؤون الطهارة شرطا في الصلاة اذا كانت تؤدى داخل الكنيس. أما اذا كانت خارجه فان الطهارة

---

[١] بالعبرية « شمَعْ »

تكون حينئذ مستحبة وليست واجبة. والطهارة عند القرائين تشمل التطهر الشرعي والنظافة من الاقذار من الجسم والملابس وهم بهذا يختلفون عن التلموديين.

فالتلمود يذكر حالة واحدة يجب فيها غسل الوجه واليدين والقدمين وهي في ليلة السبت. ولكن التلموديين اشترطوا بعد ذلك غسل اليدين قبل الصلاة وقبل أكل الخبز وقبل لمس شيء مقدس ولم يشترطوا غسل أي عضو اخر من الجسم.

فهم قد فرقوا بين النظافة والطهارة وقد اشترطوا الثانية ولم يشترطوا الاولى ولكنهم ايضا اشترطوا نظافة المكان.

بقي شيء أخر يتعلق بالصلاة نود ذكره قبل ان ننهي هذا الموضوع وهو مسألة «التفلين» الذي بينا معناه سابقا. فالقراؤون لايقولون بوجوب وضعها على ا لجبهة والذراع اثناء الصلاة (صلاة الصبح).[١٠]

المحارم في الزواج :

مسألة المحارم في الزواج عند القرائين من المسائل المعروفة في فقههم وهي تختلف اختلافا كبيرا عما هي عليه في فقه التلموديين.

---

[١٠] L. Nemoy, Karaite Anthology, p.391

وكذلك لايعترفون بوضع تميمة « المزوزة» على ابوابهم كما يضعها التلموديون. والمزوزة عبارة عن قطعة من الرق او الورق يكتب عليها مقاطع من التوراة وتوضع في صندوق صغير من المعدن او الخشب او الزجاج لطرد الشياطين والارواح الشريرة .

وقد جاء النص على هذين في سفر التثنية ٦/٨. « واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم بيتك وعلى أبوابك »، ويفسر القراؤون هذا النص تفسيرا مجازيا.

فعدد المحارم عندالقرائين اكثر بكثير منه عندالتلموديين. والسبب في ذلك أساسا هو تفسير ما جاء في سفر التكوين ٢/٢٤ « لذلك يترك الرجل اباه وأمه ويلتصق بأمراته ويكونان جسدا واحدا». فقد فسر عنان بن داود هذه العبارة بشكل يختلف تماما عن تفسير التلموديين، واخذ عبارة « جسدا واحدا » بمعناها الحرفي أي أن الزوج والزوجة يصبحان شخصا واحدا. وعليه فان اقرباء الزوجة يصبحون أقرباء نسب للزوج فأخت الزوجة مثلا تصبح أختا للزوج وأخوها أخاه وعمها عمه وخالتها خالته. ولنفس السبب ايضا اذا طلقت المرأة وتزوجت مرة اخرى، فان أقرباء الزوج الثاني يصبحون اقرباء للزوج الاول بشكل تلقائي. ولو طلقت المرأة من الزوج الثاني وتزوجت ثالثا فان اقرباء الزوج الثالث يصبحون ايضا اقرباء للزوج الاول، وهكذا دواليك. وقد اطلق على هذا اسم «الركّوب »[١] أي تحريم درجة من القرابة على اخرى.

الى جانب ذلك هناك بعض المحارم الاخرى غير المبنية على هذا النظام والتي كانت نتيجة لقياس او قياس القياس. كذلك صارت بعض النساء محارم بسبب إطلاق الفاظ معينة عليها، مثل اطلاق كلمة اخت على بنت زوجةالاب من زواج سابق.وقد اعتبرت هذه البنت اختا لابن زوج هذه الام وطبق عليها نظام، الركوب اي انه عندما اصبحت اخته وهو اخوها فاخوه اخوها وعمته عمتها وخالته خالتها »[٢].

وقد ذكرت سابقاً ان هذه النظرية قد بداها عنان نفسه ووافق عليها مجموعة من كبار القرائين الذين جاءوا بعده مثل النهاوندي

«١» من الفعل ركّب (على وزن فعّل) والذي معناه نفس معنى الفعل العربي.

«٢» L. Nemoy , Karaites Anthology , pp 125-6

«٣» J. Mann, Text and Studies in Jewish History and Literature vol 2, pp 140 -141

ودانيال القومسي ويعقوب القرقساني وسهل بن مصلياح «٢». ولكن اخرين غيرهم أحسوا بعد مرور قرنين من الزمن على نشوء الفرقة ان هذه النظرية تؤثر في حياتها وتعيق من تطورها وتقلل من عدد افرادها. فجمع بعض هؤلاء شجاعتهم وجرأتهم وعارضوا احكام «الركّوب». وكان أول معارض لذلك ابا سعيد داود بن بوعز (من القرن العاشر الميلادي) وهو أحد أحفاد عنان. ثم عارض ذلك ابويعقوب يوسف البصير. وكان مجاهرا بالمعارضة غير خائف ولامتردد وكان من المعارضين كذلك ابو الفرج فرقان بن اسد الذي كتب بشكل مفصل ضد «الركّوب». «١» ثم تتابع المعارضون حتى اصبحوا الغالبية الغالبة بين القرائين، وبسبب ذلك بقيت من الفرقة بقية الى يومنا هذا بعد ان اوشكت في فترة من فترات تاريخها على الانقراض، وإن بقيت المحارم عندهم اكثر مما هي عليه عند التلموديين وهذا أحد أسباب قلتهم.

الزواج من بنت الأخ او بنت الاخت :

ليس هناك نص صريح في التوراة ينص على تحريم الزواج من بنت الأخ او بنت الأخت أو جواز ذلك. ولقد فهم التلموديون من هذاالسكوت في التوراة ان الزواج جائز منهما وقالوا اذا ارادت التوراة تحريم شيء فانها تنص صراحة على ذلك مثل ماجاء في سفر اللاويين ١٨/١٣ « لاتقرب أخت امك».

بل ان التلمود مدح هذا الزواج وحبذه واعتبره عملا من اعمال الاولياء واعتبره شيئا يفرح الاله ويسره «٢».

«١» المصدر نفسه L.Nemoy p 127

«٢» انظر التلمود B.Yebamoth 2b

اما القراؤون فانهم لم يجيزوا هذا الزواج ولم يقروه واعتبروه محرماً.

وقد حرمته ايضا الفرق اليهودية الاخرى مثل السامريين والفلاشا وفرقة قمران واعتبرته زنا صريحا «١».

وهناك بعض المحارم التي اخذت على مايبدو من الشريعة الاسلامية وذلك كتحريم الزواج بالاخت من الرضاعة وكان اول من قال بهذا الراي على مايبدو دانيال النهاوندي. «٢»

الزواج بأرملة الاخ المتوفى وشرعة اليبوم :

شرعة اليبوم : اليبوم كلمة مأخوذة من الفعل « يبم » التي تعني الزواج بأرملة الاخ المتوفى والتي تسمي «يبماه ». وهذه الشرعة عند اليهود تفرض على أرملة الاخ المتوفى الذي ليس له اولاد ان تتزوج اخاه. وقد وردت تفاصيلها في التوراة في سفر التثنية ٢٥/ ٥-١٠ وهذا نصها :

« اذا سكن أخوة معا ومات واحد منهم وليس له ابن فلا تصر امرأة الميت الى خارج لرجل اجنبي، اخو زوجها يدخل عليها ويتخذها لنفسه زوجة ويقوم لها بواجب اخي الزوج، والبكر الذي تلده يقوم باسم اخيه الميت لئلا يمحى اسمه من اسرائيل. وان لم يرض الرجل ان يأخذ امرأة اخيه تصعد امرأة اخيه الى الباب الى الشيوخ وتقول قد ابى أخو زوجي ان يقيم لأخيه اسما في إسرائيل، ولم يشأ ان

«١» L. Ginzberg, Unknown Jewish Sect, p. 23

«٢» القرقساني، الانوار والمراقب ١/٥٥

يقوم لي بواجب اخي الزوج، فيدعوه شيوخ مدينته ويتكلمون معه فان اصرّ وقال لا ارضى أن اخذها تتقدم امرأة اخيه اليه أمام أعين الشيوخ وتخلع نعله من رجله، وتبصق في وجهه، وتعلن هكذا يفعل بالرجل الذي لايبني بيت اخيه فيدعى اسمه في اسرائيل بيت مخلوع النعل». وهناك فصل كبير في التلمود عنوانه «يبامـوث» مخصص لمناقشة هذه الشرعة. والقرائون لايأخذون بهذا النص لانه يخالف ما ورد في التوراة في مكان آخر في سفر اللاويين ٢١/٢٠ والذي جاء فيه « واذا اخذ رجل امرأة اخيه فذلك نجاسة قد كشف عورة اخيه. يكونان عقيمين ».

وقد أول التلموديون وعلى رأسهم سعاديا الفيومي هذه العبارة بانها تعني الاخ الذي له اولاد.

وبعض القرائين فسروا «اخوة» في سفر التثنية انها تعني اقرباء في مقابلة « رجل اجنبي » في نفس العبارة اي ان المرأة يجب ان تزوج لاقرباء الميت (اليهود) وليس غيرهم[١].

الزواج من أسيرة الحرب :

جاء في سفر التثنية ٢١/١٠-١٤ « اذا خرجت لمحاربة اعدائك ودفعهم الرب الهك الى يدك وسبيت منهم سبيا، ورأيت في السبي امرأة جميلة الصورة، والتصقت بها واتخذتها لك زوجة، فحين تدخلها الى بيتك تحلق رأسها، وتقلم اظفارها وتنزع ثياب سبيها عنها وتقعد في بيتك، وتندب اباها وامها شهرا من الزمان، ثم بعد ذلك تدخل

«١» E. Rosenthal, Saadia Studies, p. 241

عليها وتتزوج بها فتكون لك زوجة.وان لم تسرّ بها فدعها تذهب ولا تبعها بيعا بفضة ولاتسترقها من أجل انك اذللتها».

يرى التلموديون ان ذلك يشمل الاسيرة المتزوجة وغير المتزوجة بينما يرى القراؤون ان هذا الحكم يشمل غير المتزوجة فقط ويقولون – من جملة ما يقولون – انه لو كان يشمل المتزوجة لقالت التوراة.. وتبكي زوجها [١].

ومن المسائل التي ترتبط بالزواج مسألة تعدد الزوجات فتعدد الزوجات مازال جائزا نظريا عند القرائين ولم يحرموه. ولكن اكثر التلموديين قد حرموه في الفترة الاخيرة [٢].

من مسائل الطلاق :

يشترط القراؤون ان يكون هناك سبب مهم للطلاق والاّ لا يصح. وقد استندوا في ذلك على عبارة في سفر التثنية ١/٢٤ « اذا اخذ رجل امرأة وتزوج بها فان لم تجد نعمة في عينه لانه وجد فيها عيبا من شيء كتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته ». بينما لايشترط التلموديون ذلك وهم كذلك. اختلفوا في المرأة المطلقة التي تتزوج زوجا آخر هل يجوز لها ان تتزوج الاول. وقبل ان نذكر رأي الفرقتين نود ان نذكر عبارة التوراة التي قد جاءت في سفر التثنية ٣/٢٤ عن هذا الموضوع وهذا نصّها « ومتى خرجت من بيته وذهبت وصارت لرجل آخر فان ابغضها الرجل الاخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها واطلقها من بيته، او اذا مات الرجل الاخير الذي اتخذها له زوجة لايقدر زوجها الاول الذي طلقها ان يعود

«١» E. Rosenthal, Saadia Studies, p 242

«٢» L.Nemoy, Karaite Anthology, p. XXIV

يأخذها لتصير له زوجة بعد ان تنجست لان ذلك رجس لدى الرب فلا تجلب خطية على الارض الذي يعطيك الرب الهك نصيبا منها».

فيقول التلموديون في تفسير ذلك ان المرأة المطلقة لايجوز ان يتزوجها الزوج الاول حتى لو كان الثاني خطيبها فقط وليس من الضروري ان يتزوجها، بينما يأخذ القراؤون بالمعنى الحرفي للعبارة ويقولون انها تحرم على الزوج الاول اذا تزوجها الثاني زواجا، والخطبة فقط لاتحرم الزواج من الزوج الاول. وقد استنتجوا من هذه العبارة كذلك ان المرأة اذا اغتصبت لاتحرم على زوجها وهورأي لايراه التلموديون[١].

ومن القضايا التي ترتبط بالطلاق قضية صيغته الشرعية. فالتلموديون لايعترفون بصيغة الطلاق (خليصًا) التي يقرها القراؤون ويعتمدونها والتي هي تختلف عن تلك التي عند التلموديين فهي عندهم باطلة. وقد قال التلمودي موسى بن ميمون عن هذا الموضوع

« ان طلاق القرائي غير نافذ في شريعتنا على الاطلاق لانهم لايتبعون طريقتنا في الزواج والطلاق[٢]».

ونتيجة لذلك هو ان المرأة المطلقة طبقا للطلاق القرائي والتي تتزوج من آخر يعتبر زواجها غير شرعي واذا ما ولدت من هذا الزواج فان الطفل يعتبر غير شرعي (ممزور) وهو لايجوز زواجه او زواج أبنائه أو أحفاده طبقا للحكم التلمودي الشرعي[٣].

وعليه فقد منع التلموديون الزواج من القرائين بصورة عامة لهذا

«١» E. Rosenthal, Saadia Studies, p. 240 .

«٢» S. Baron, Social and Religous History of the Jews, vol 5, p. 266

«٣» R. Jospe, and S. Magner, Great Schisms in Jewish History, p. 61

ولغيره. وفي فلسطين يمنع اليوم زواج التلمودي من قرائية والقرائي من تلمودية. والقراؤون كذلك يمنعون ابناء فرقتهم من الزواج من التلموديين.

ما يجوز أكله من الحيوان:

في اليهودية لايجوز ذبح الشاة او البقرة او ابنها في يوم واحد طبقا لما جاء في سفر اللاويين ٢٨/٢٢ « وأما البقرة والشاة فلا تذبحوها وابنها في يوم واحد ». وقد عمم القراؤون هذا النهي بالقياس وجعلوه يشمل ابا الحيوان ايضا، فهم لايجوزون ذبح الاب من الحيوان والابن في يوم واحد. وهم كذلك قاسوا الحيوان غير الداجن على الحيوان الداجن [١]. والقراؤون لايجيزون ذبح انثى الحيوان الحامل بينما يجيز ذلك التلموديون. ويشترط القراؤون لجواز اكل الصيد ان يغطي دمه وذلك أخذاً بعبارة سفر اللاويين ١٣/١٧ التي جاء فيها و «كل انسان من بني اسرائيل ومن الغرباء النازلين في وسطكم يصطاد صيدا وحشا او طائرا يؤكل يسفك دمه ويغطيه بالتراب» والتلموديون لايشترطون تغطية الدم.

وبالنسبة الى الإليه فان القرائين يحرمون أكلها باعتبارها شحما اعتمادا على ما جاء في اللاويين ٩/٣ « ويقرب ذبيحة السلامة وقودا للرب شحمها الإليه من عند العصعص ينزعها والشحم الذي يغشي الأحشاء وسائر الشحم الذي على الاحشاء » وللتلموديين تخريجات في عدم اعتبارها شحما لا نود الدخول فيها [٢].

«١» L. Nemoy, Karaite Anthology, p. 266 and E. Rosenthal, Saadia Studies, p 234

«٢» E. Rosenthal, Saadia Studies, p 235

أما بالنسبة الى طبخ الجدي بحليب أمه الذي ورد النهي عنه في ثلاثة مواضع في سفر الخروج ٢٣/٩ و٣٤/٢٦ وفي سفر التثنية ١٤/٢١ بنص «لاتطبخ جديا بلبن أمه».

فالتلمود يدخل في ذلك ليس الجدي وأمه خاصة بل كل حيوان داجن يؤكل وكذلك يعمم الحليب الى حليب غير الأم بل ويعمم الحكم كذلك ليشمل اللحم والحليب سوية بصورة عامة.

والقراؤون يتفقون مع التلموديين في أن الحكم يشمل كل حيوان داجن ولكن الحليب يجب ان يقتصر على حليب الام وان الحليب لايشمل كل حليب كما يقول التلموديون.واذا علم ان الحليب ليس حليب الام فحينئذ يجوز اكل اللحم معه.

أما بالنسة الى الطيور فان اليهود يحرمون منها ٢٤ نوعا وهي تلك التي وردت في موضعين من التوراة في سفر اللاويين ١٣/١٩ - ١٩ وفي سفر التثنية ١٢/١٤ -١٨ وعدا هذه فهو طاهر وحلال اكله.

اما القراؤون فهم لايحللون من اكل الطيور الا نوعين وهما اليمام والحمام. ويستدلون على ذلك بعبارتين من التوراة. احداهما جاءت في سفر التكوين ٢٠/٧ وهذا نصها « وبنى نوح مذبحا للرب وأخذ من كل البهائم الطاهرة ومن كل الطيور الطاهرة وأصعد محرقات على المذبح ». ويقول القراؤون ان انواع الطيور الطاهرة التي وردت في العبارة اعلاه قد خصصت وحددت في سفر اللاويين ١٤/١ وهذا ما جاء فيه « وان كان قربانه للرب من الطير محرقة يقربه من اليمام

«١» M. Waxmann, A History of Jewish Literatue, vol 2, p. 443 and L.Nemoy, Karaite Anthology, p. 267

وصغار الحما م» وهذه العبارة - كما يقول القرائون - اوضحت ما كان نوح قد قربه للرب من الطيور الطاهرة. والتلموديون يرون ان المسألة ليست كذلك وان نوحا لم يتقرب بكل الطيور الطاهرة وانما تقرب ببعضها «١». وعلى هذا فهناك عموم وخصوص وهو ان كل طير يجوز التقرب به حلال اكله ولكن ليس كل مايحل اكله يجوز التقرب به.

الصيام :

تختلف ايام الصيام عند التلموديين كثيرا عنها عندالقرائين ومن جملة ما يختلفان فيه صوم اليوم السابع من كل شهر وكان قد بدأ هذا عنان بن داود ولست أدري الدليل الذي اعتمده في ايجاب ذلك. والتلموديون لايشترطون صيام هذا اليوم ولايقرونه.

وبالنسبة الى يوم الغفران (يوم كبور) فالقراؤون يوجبونه على البالغ وغيره ولايفرقون في ذلك ويستدلون على ذلك بعبارة سفر اللاويين ٢٣/٢٩ « ان كل نفس لا تذلل في هذا اليوم عينه تقطع من شعبها" وهم يفسرون كلمة « نفش » العبرية والتى تعني انسان انها تشمل كل انسان بينما يقصره التلموديون على البالغين فقط. «٢»

اما صيام البوريم التي تقع ايامه بين ١٣ و ١٦ آذار فهي تعتبر أيام عيد عند ا لقرائين عدا يوم ١٣ الذي يعتبر يوم صيام، وقد يكون هذا مبنيا على تفسير معين للنص التوراتي الذي جاء في سفر استير. أما صيام ٩ آب وهو الصيام المشهور بين اليهود فان القرائين

«١» E. Rosenthal, Saadia Studies, pp 233-4

«٢» المصدر نفسه E. Rosenthal, p 237

لايصومونه ويصومون بدله يومين. اليوم السابع من آب واليوم العاشر منه وهذا الاختلاف في الواقع يتعلق باليوم الذي هدم فيه المعبد اليهودي. أما صيام جداليا فانه يقع عند القرائين في يوم ٢٤ من تشرين (وهوالشهر الاول العبري) اما التلموديون فانهم يصومونه في يوم ٤ منه. ويتفق القراؤون مع التلموديين في صيام اليوم العاشر من شهر طبت.

عيد الحنوكّة :

يحلّ عيد الحنوكة والذي يسمى ايضا عيد التدشين في الشهر العبري كسلو (في الخامس والعشرين من ديسمبر) ومناسبة هذا العيد ترجع الى سنة ١٦٥ ق م اذ كانت فلسطين يومها تحت الحكم اليوناني وكان حاكمها انئذ انتوخيوس ابيفانس. وكان هذا الحاكم قد حاول إرغام اليهود على ترك دينهم والدخول في الوثنية اليونانية ولكن الكاهن الاكبر متاتيا أعلن المقاومة وساعده في ذلك ابناؤه الخمسة خاصة ابنه يهودا المكابي وأمكنهم انتزاع المعبد من اليونانيين. وفي اليوم الخامس والعشرين من ديسمبر من هذه السنة اخرجت التماثيل اليونانية من الهيكل ووضع فيه مذبح جديد وأعيد استعماله مرة اخرى لاقامة الشعائر اليهودية. ومن أجل هذا سمي هذا العيد بعيد التدشين. ويحتفل بهذا العيد بايقاد شمعة في كل ليلة من الليالي الثماني ووضعها في شمعدان. كذلك تنشد الاناشيد والاشعار اشادة بالمكابيين [١]. ويقرأ اليهود بهذه المناسبة من سفرى المكابيين اللذين

---

[١] اطلق لقب «المكابيين» على سلالة متاتيا وابنائه الخمسة التي حكمت جزءا من فلسطين حتى عام ٣٧ ق. م.

يضمان تاريخ المكابيين وقصص عنهما. والقراؤون لايعترفون بعيد الحنوكة ويرفضونه رفضا قاطعا من منطلق رأيهم القائل بان الاعياد التي يجب ان يحتفل بها هي فقط تلك التي ذكرت في العهد القديم وماعداها فلا يعترفون به، بل إن القرائين يقفون موقف الناقد المدين من المكابيين ويعتبرونهم فاسدين طغاة وقد جلب عليهم طغيانهم سقوطهم»[١].

الى هنا ينتهي بنا الحديث عن هذه الفرقة في هذا الكتاب نأمل أن يفيد منه القراء والباحثون.

«١» S. Baron, Social and Religous History of the Jews, vol 5 , p . 265

المصادر والمراجع

١. العربية :

«١» ابن ابي اصيبعة موفق الدين احمد بن القاسم الخزرجي، عيون الأنباء في طبقات الاطباء، بيروت. د.ت

«٢» ابن حزم، علي بن احمد، الفصل في الملل والاهواء والنحل د.م ١٣١٧هـ

«٣» الباقلاني محمد بن الطيب، كتاب التمهيد بيروت ١٩٥٧م

«٤» بدوي، عبد الرحمن، مذاهب الاسلاميين، بيروت ط٣ ١٩٨٣م

«٥» البصير، ابو اسحق يعقوب، كتاب المحتوي، باريس ١٩٨٥م

«٦» البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد، الآثار الباقية عن القرون الخالية ليبزك ١٩٢٣م

«٧» الحكيم، محمد تقي، الاصول العامة للفقه المقارن، بيروت ط٣، ١٩٨٣م

«٨» الشهرستاني ، محمد بن عبد الكريم، الملل و النحل بهامش كتاب الفصل لابن حزم

«٩» القرقساني، أبو يعقوب اسحق، الأنوار والمراقب، نيويورك ١٩٣٩م

٢. الانجليزية

(1) ANKORY,Z. KARAITE IN BYZANTIUM, NEW YORK,1959

(2) BARON,S.W.,SOCIAL AND RELIGIOUS HISTORY OF THE JEWS, NEW YORK, 1952

(3) BOWMAN, S.B., THE JEWS OF BYZANTIUM, (1204-1453). ALABAMA, 1985

(4) DUBNOV, S. HISTORY OF THE JEWS, NEW JERSEY, 1971

(5) ENCYCLOPEADIA JUDIACA,JERUSALEM,1972

(6) GINZBERG, L., UNKNOWN JEWISH SECT, NEW YORK, 1976

(7) HASSAN, J.H., SAADIA'S ARABIC VERSION OF THE HEBNEW TEXT OF ISAIAH 40-55 (THESIS) UNIVERSITY OF MANCHESTER, 1977.

(8) JOSEP, R., AND MAGHER, S. (EDS) GREAT SCHISMS IN JEWISH HISTORY , NEW YORK 1981

(9) KAHLE, P., THE CAIRO GENIZA, LONDON. 1947

(10) MACDONALD, J., SAMARITAIN THEOLOGY, LONDON, 1964

(11) MANN, J. TEXTS AND STUDIES IN JEWISH HISTORY AND LITERATURE

(12) THE JEWS IN EGYPT AND IN PALASTINE UNDER THE FATIMID CALIPHS, OXFORD,1920

(13) NEMOY, L. KARAITE ANTHOLOGY, NEW HAVEN, 1952

(14) POZNANASKI, S., THE KARAITE LITERARY OPPONENTS OF SAADIA GAON, LONDON , 1908

(15) ROSENTHAL, E., (ED.) SAADIA STUDIES, MANCHESTER, 1943

(16) STARR, J., JEWS IN THE BYZANTINE EMPIRE (641-1204) ENGLAND, 1969

(17) STERN S.M., FATIMID DECREES, LONDON, N.D.

(18) WAXMANN, M., A HISTORY OF JEWISH LITERATURE, NEW-JERSEY, 1960

(19) WIEDER, N., THE JUDEAN SCROLLS AND KARAISM, LONDON, 1962

(20) ZAJACZKOWSKI, A.,KARAISM IN POLAND, WARSAW, PARIS, 1961

٣. العبرية :

"١" العهد القديم

"٢" ابراهام بن داود ، سفرها قبلاه، لندن ١٩٦٩م

"٣" الياهو بن موس بتشياجي ، ادرت الياهو، كوزلو ١٩٣٥م

"٤" هداسي، يهودا بن الياهو، اشكول هاكفر، كوزلو ١٨٣٦م

٤-الدوريات:

JOURNAL OF JEWISH STUDIES

www.al-maktabeh.com
مكتبة المهتدين
http://al-maktabeh.com

الفهرس

مقدمة ٥

توطئة ٩

الفصل الاول

عنان بن داود مؤسس فرقة القرائين ومن جاء بعده ١٣

الفصل الثاني

هجوم الجاءون سعاديا الفيومي على القرائين وردهم عليه ٣١

الفصل الثالث

أدلة القرائين على رفضهم للتلمود ٤٣

الفصل الرابع

من تاريخ النشاط العلمي والادبي للفرقة ٥٥

الفصل الخامس

تأثير الثقافة الاسلامية على القرائين ٨١

الفصل السادس

من تاريخ النزاع بين القرائين والتلموديين ١١٣

الفصل السابع

من مسائل الخلاف الفقهي بين الفرقتين ١٢٧

المصادر والمراجع ١٤٥

The Jewish Qaraite Sect

Dr. J.H. Hassan

Published & Distributed by
AL - FAJR
B.M. Box : 1505
LONDON WC1N 3XX
UNITED KINGDOM

1989